حولية كلية الشريعة والقانون

والدراسات الإسلامية

العدد الثاني والعشرون ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م

القاضي عبد الوهاب المالكي البغدادي

سيرته الشخصية والعلمية

(بغداد ٣٦٢هـ / ٩٧٣م)

(القاهرة ٤٢٢هـ / ١٠٣١)

الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي

عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة الشارقة

تقديم

الحمد لله رب العالمين القائل:

﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولونَ ربَّنا اغفرْ لنا ولإخواننا الذين سَبَقُونا بالإيمان، ولا تجعلْ في قلوبنا غِلاً للذين آمنُوا ، ربَّنا إنَّك رؤوف رحيم﴾ الحشر/١٠.

والصلاة والسلام على رسول الله، الأسوة ، والقدوة، والمثل الكامل، صاحب السيرة العطرة التي يفوح شذاها لتكون نوراً وضياءً للأجيال، والقائل: (العلماء ورثة الأنبياء)[١]. ورضي الله عن الصحابة أفضل جيل عرفه التاريخ الذين تتعطر بهم المجالس، وتنتشي بذكرهم الأفئدة ليكونوا الصورة الواقعة للمجتمع الإسلامي الفاضل، ورضي الله عن التابعين والعلماء العاملين الذين حملوا مشعل النور جيلاً بعد جيل، وأدوا الأمانة، حتى وصلت رسالة الإسلام إلى الخافقين وإلى مختلف العصور، لتكون في أعناق الجيل الحاضر، فيبلّغوها للجيل القادم وهكذا حتى تقوم الساعة.

وبعد :

فإن الاطلاع على حياة العلماء العاملين ، وأهل الورع والصلاح، يستنهض الهمم لاقتفاء آثارهم، ويستنزل الرحمة من الله تعالى، قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى "عند ذكر الصالحين تتزل الرحمة" [٢].

وإن الأمم الحية تفخر بماضيها وتاريخها، وتنشر الصفحات المشرقة عنها، وتذكر علماءها الذين آثْرَوْا حياتها، لتعرف فضلهم ومآثرهم، وتوجّه الأجيال للتأسي

---

(١) رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة وغيرهم عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً؛(انظر: الفتح الكبير ٣/١٩٩، الترغيب والترهيب ١/٩٤).

(٢) انظر : كشف الخفاء ٢/٩١.

بهم، ليكونوا خير خلف لخير سلف ، ويتعرفوا على سيرتهم ومناهجهم ليفخروا بهم أمـــام التاريخ والعالم. وهذا يبعث على البحث والكتابة عن الأئمة الأعلام، والعلماء العاملين، والفقهاء المجتهدين، والسلف الصالح ، والقادة الزاهدين.

ومن هؤلاء القاضي عبد الوهاب المالكي البغدادي رحمه الله تعالى (٣٦٢هـ - ٤٢٢هـ) أحد أئمة المذهب المالكي، والمجتهدين فيه، الذي ترك البصمات الخالدة فـــي المذهـــب خاصـــة، والفقه وأصول الفقه وعلم الخلاف عامة، فنعرض سيرته الشخصـــية للـــتعرف علـــيها، ثـــم سيرته العلمية لنتلمس أثرها ، وذلك في تمهيد ومبحثين وخاتمة.

ونســـأل الله أن ينزل شآبيب الرحمة عليه وعلى العلماء وعلى أمواتنا وأموات المســـلمين، ونرجو الله أن ينفع بعلمه، وأن يسير الدعاة على سيرته، لنرفع لهذه الأمـــة رايـــتها ونعـــيد للإســـلام رفعته وتطبيقه، بمشيئة الله تعالى، والحمد لله رب العالمين .

تمهيد

عصر القاضي عبد الوهاب

الإنسان ابن بيئته، يتأثر بها ويؤثر فيها، ويتكيف مع ظروفها، ويتجاوب مع أصدائها، وكثيراً ما يتأثر الإنسان بالعصر الذي يعيش فيه ، والجو الذي يحيط به ، والأحداث التي تفاجئه، والتيارات التي تعترضه. والقاضي عبد الوهاب المالكي رحمه الله عاش أربعة عقود في القرن الرابع، وعقدين في القرن الخامس ، وكانت هذه الفترة تعجّ بالأحداث الجسام الإيجابية والسلبية من عدة نواح، نعرض صورة مصغّرة عنها.

١- الناحية السياسية :

بلغت الدولة الإسلامية ذروتها السياسية والإدارية في القرن الثاني الهجري، ثم شهدت عمليات المدّ والجزر في القرن الثالث فانفصلت بعض الأقطار عن مركز الخلافة في بغداد، ثم تسرّب التصدع الحقيقي في القرن الرابع، وحل الضعف والتفتت فيها، واستقلت أكثر الولايات عن بغداد، وتوجهت الجيوش بعضها ضد بعض داخلياً للتقاتل، كالفاطميين في مصر، والحمدانيين في حلب والموصل، والبويهيين في العراق وفارس، والغزنويين في الأفغان والبنجاب وما وراء النهر، وسيطر بنو بويه على الخليفة ، وصار لهم النفوذ المطلق، وامتد حكمهم من سنة ٣٣٤هـ إلى سنة ٤٤٧هـ . أي طوال حياة القاضي عبد الوهاب، واتصف حكمهم بالشدة والبطش والقسوة واقتطاع الأراضي واقتسام الثروات والأموال، والاعتداء على الأفراد، والتعدي على سلطان الخلفاء، فضعفت موارد الدولة، وانتشر الفساد، واضطربت الأمور، وظهرت الشكاوى، وعمّت الفتن ، منها فتنة القرامطة وحركة العيارين الذين مارسوا السطو والنهب والغصب والسرقة، حتى دخل طغرل بك بغداد وقضى على بني بويه وقامت دولة السلاجقة سنة ٤٤٧هـ التي جددت قوة

الإسلام، وأعادت وحدته السياسية مع استمرار الحروب الخارجية المشتعلة بين الدول الإسلامية وبين الروم البيزنطيين وغيرهم في الشرق والغرب [١].

٢- الناحية الاجتماعية :

كان للناحية السياسية أثرها على الحالة الاجتماعية التي كانت سيئة في كثير من النواحي، فالأمن يكاد أن يكون مفقوداً، والفوضى والفساد يعيثان في جنبات بغداد وما حولها، وانتشر اللصوص والقتلة، وظهرت الاضطرابات السياسية والدينية والمذهبية وخاصة في نهاية عهد البويهيين، وكان المجتمع يتألف من ثلاث طبقات، طبقة الخاصة من أصحاب الخليفة وذوي قرباه، ورجال الدولة البارزين كالأمراء والقواد والكتّاب والقضاة والفقهاء والعلماء والأدباء، وطبقة العامة من سواد الناس وباقي أفراد الشعب الذين يتركبون من جنسيات مختلفة، وقوميات متعددة وطبقة العبيد والأرقاء، ويضاف إلى ذلك أهل الذمة من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم.

وظهرت بين رجال الحكم والسلطة ومن يلوذ بهم، ويتعلق بأذيالهم النعرات القومية، وامتلأت القلوب بينهم حقداً وضغينة وكراهة وتميزاً وانفصالاً وتقاتلاً وتناوباً على السلطة.

ووجد في هذا العصر التناقض بين الترف المادي والبذخ والإسراف عند فئات وطبقات، والبؤس والفقر والمظالم عند فئات أخرى، حتى وصلت إلى صاحبنا القاضي عبد الوهاب، فعضه الفقر بأنيابه حتى اضطر أن يرحل عن بغداد للفاقة كما سنرى، كما انتشر في هذا العصر الغناء ومجالس الطرب والموسيقى والعزف في القصور، وتفشت الرذيلة في العراق، وفشا شرب الخمر، وكثرت المواخير والحانات، وانحلت الأخلاق بين الفئات الحاكمة والمستغلة ورجال الجيش [٢].

---

[١] انظر الكامل في التاريخ ، ابن الأثير، المجلد التاسع ، البداية والنهاية، ابن كثير ج ١٢، تاريخ الإسلام السياسي، حسن إبراهيم حسن ج٢،٣،٤، تاريخ الأمم الإسلامية، محمد الخضري، الجزء ٣، تاريخ الخلافة العباسية، للدكتور يوسف العش.

[٢] انظر : الحضارة الإسلامية ١٣/١، ظهر الإسلام ٩٠/١ وما بعدها، ضحى الإسلام ١٧/١ وما بعدها، رجال الفكر والدعوة للشيخ أبي الحسن الندوي ص ٦٦ وما بعدها.

٣- الناحية العلمية والثقافية والحضارية :

كانت هذه الناحية معاكسة تماماً للنواحي السياسية والاجتماعية ويعتبر القرن الرابع الهجري والخامس اللذان عاش فيهما القاضي عبد الوهاب من أزهى العصور الإسلامية فكرياً وثقافياً وحضارياً، وفي مجال الفقه وأصول الفقه وسائر العلوم الشرعية والأدبية والعلمية والإنسانية، حتى سميت هذه الفترة بالعصر الذهبي بالنسبة للثقافة والعلوم الإسلامية، واستمر العلماء يجوبون البلاد، ويكشفون المجاهيل، ويتزودون بالمعارف، ويقدمون البحوث، ويحققون النتائج، ويقطفون الثمار اليانعة، ويقدمون للإنسانية قطوفاً دانية شهية في جميع مجالات الحضارة والثقافة والعلم، وفي مجال الترجمة ونقل الثقافات والعلوم عن الأمم الأخرى.

فالفقه الإسلامي - مثلاً - بلغ مرحلة النضوج الكامل، واستقرت المذاهب الفقهية، وظهرت المدونات في كل مذهب، مع التأصيل الفقهي، وتقعيد القواعد، وكان الاجتهاد على أشده، واكتمل علم أصول الفقه، ونشط علم الخلاف (الفقه المقارن) وكان في أسمى صوره، بعرض الآراء والأدلة والبراهين والمناقشة والتأصيل والتخريج والترجيح[1] وعجّت المدن الإسلامية في مختلف الأقطار بكبار الفقهاء والعلماء والمجتهدين والمفسرين واللغويين والمترجمين وعباقرة الإسلام ومفكريه وفلاسفته، وكانت بغداد أعظم مركز ثقافي في العالم في ذلك التاريخ، وبلغت الترجمة أوجها، ونقلت الثقافات القديمة إلى اللغة العربية والبلاد الإسلامية، وتقدمت مختلف العلوم، ووصل الأدب إلى القمة، وانتشرت النوادي الأدبية ، ومجالس الشعر العامة والخاصة وبُنيت المدارس، وظهر النوابغ في كل فن ، ومن ذلك على سبيل الخصوص في المذهب المالكي القاضي أبو بكر الأبهري، والقاضي

---

(١) سمى الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم علي هذه المرحلة في المذهب المالكي بدور التطور، وذلك من بداية القرن الرابع الهجري ، وفيه مراحل التفريع والتطبيق والترجيح، ويتسم بظهور نوابغ المالكية الذين فرّعوا وطبقوا ومن ثمّ رجحوا وشهروا ، وتنتهي هذه المرحلة بنهاية القرن السادس الهجري (اصطلاح المذهب.له ص ٣٤ ، ١٨١) وانظر: المعونة، مقدمة التحقيق للدكتور عبد الحق حميش ٨/١ وما بعدها، ٢٠.

أبو بكر الباقلاني، وأبو الوليد الباجي، والقاضي عبد الوهاب المالكي، وابن أبي زيد وغيرهم.

وكانت المنافسة العلمية شديدة، واشتد أوارها مع المنافسة السياسية، فكان الخلفاء والأمراء والملوك والسلاطين وحكام الولايات يشجعون العلم، ويكرمون العلماء، ويتنافسون في ذلك، ويلجؤون إلى العلم ، ويتحصنون به، ويعملون على نشر الثقافة وفتح المدارس لدعم ملكهم وسلطانهم بجميع مقومات الحضارة والاستعانة بالعلوم والعلماء لتقوية أسس الملك. وكان تعدد الفرق الدينية والمذاهب الفقهية والكلامية باعثاً لنشاط الحركة العلمية، وتأجيج نارها، فاستخدمت هذه الفرق والمذاهب العلم وسيلة لتحصين نفسها، وتحقيق أغراضها، ونشر مبادئها والانتصار عليها.

وكان إلى جانب المذاهب الفقهية والكلامية فرق أخرى كالمعتزلة ، والشيعة والباطنية، والصوفية مما أدى أحياناً إلى فتن مذهبية وعقائدية، ونكبات بين الأتباع. وظهر في هذه الفترة ثروة عظيمة وضخمة في الإنتاج والتأليف والموسوعات التي تركت آثاراً خالدة على مر الأجيال، وبقيت بصماتها حتى اليوم.

يقول الدكتور يوسف العش رحمه الله تعالى: " شهد القرن الرابع والقرن الخامس نهضة في أرجاء العالم الإسلامي ارتفعت إلى الذروة ، وهي نهضة فكرية وأدبية وفنية، وقد أعطت الحضارة الإسلامية العربية خير ما عندها في ذلك نضجاً ورفعة..، ثم أخذت في التقهقر شيئاً فشيئاً"[1].

❁❁❁

---

(1) محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية ص ١٦٧ ، وانظر المرجع السابق ٢٠٠، ١٨٩، ٢١٢، ظهر الإسلام ١٥٩/١، تاريخ الأمم الإسلامية ٣/٣، مختصر في تاريخ العرب ص ٢٥٣، ٢٦١، الحضارة الإسلامية ١٢/١ياقوت الحموي، من أعلام العرب ص ٤٧، رجال الفكر والدعوة ص ١٥، ١٤٨، ١٤٣، الحاكم الجشمي ، للدكتور عدنان زرزور ص ٤٧، ٤٥، ٣٦، الكامل لابن الأثير ٣٢٠/٨، البداية والنهاية ١٠٢/١٢، ١٥٥.

المبحث الأول

سيرة القاضي عبد الوهاب الشخصية

اسمه ونسبه : عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن الحسين، البغدادي، العراقي، المالكي، ويرتفع نسبه إلى أمير العرب مالك بن طوق التغلبي[1]، ويكنّى أبا محمد، واشتهر بلقب القاضي، وهو ينتسب إلى قبيلة تغلب، وهي من القبائل المعروفة.

مولده : ولد القاضي عبد الوهاب ببغداد سنة ٣٦٢هـ /٩٧٣م ، وحدد ذلك ابن خلّكان بدقة، ونقله عنه ابن العماد، فقال: " يوم الخميس، السابع من شوال سنة ٣٦٢هـ"[2].

أسرته : كان أبوه من أعيان الشهود المعدّلين ببغداد، أي شهود التزكية، وهم طائفة من الناس يتميزون بالعدالة مع الفطنة والنقد، ولهم معرفة بأفراد المجتمع، ويستعين بهم القضاة لمعرفة أحوال الشهود لقبولهم في القضاء أو ردّهم، وتوفي الوالد يوم السبت في ٢ رمضان سنة ٣٩١هـ [3].

---

(١) مالك بن طوق التغلبي صاحب الرّحبة التي بناها وعُرفت به وعُرف بها، وتقع على شط الفرات بين الرقة وعانة أو بغداد على أوائل حدود الشام من أرض العراق، وهي في أصلها أرض لم تكن عامرة فأقطعها له هارون الرشيد، وكان من خاصته، فأعمرها وصارت مدينة منسوبة إليه، وكان شاعراً، وله مكانة كبيرة، انظر: مراصد الاطلاع ٦٠٨/٢، وفيات الأعيان ٣٨٩/٢، الإتحاف ٩٨/١.

(٢) وفيات الأعيان ٤٨٩/٢، شذرات الذهب ٢٢٣/٣، وانظر: تاريخ بغداد ٣١/١١، تبيين كذب المفتري ص ٢٥٠، فوات الوفيات ٤٤/٢، البداية والنهاية ٣٢/١٢، حسن المحاضرة ٣١/١، سير أعلام النبلاء ٤٢٩/١٧، ترتيب المدارك ٢٢٠/٧، الديباج المذهب ص ١٥٩، شجرة النور الزكية ص ١٠٣، الفتح المبين ٢٣٠/١، الأعلام ٣٣٥/٤، مرجع العلوم الإسلامية ص ٤٠٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٨٣/١٥.

(٣) وفيات الأعيان ٣٨٩/٢، شذرات الذهب ٢٢٥/٣، الإتحاف ١٠/١.

وكان أخوه محمد بن علي، أبو الحسن، أديباً فاضلاً، من الشعراء المذكورين، ولـيّ كـتابة الإنشاء لجلال الدولة، ثم نفذه رسولاً له ، ولد سنة ٣٧٢هـ ، ومات بواسط سنة ٤٣٧هـ ، وكان قد صعد إليها من البصرة، فمات بها[١].

نشـأتـه : نشـأ القاضي عبد الوهاب في بغداد، وهي مدينة العلم والعلماء، كما نشأ في أسرة علم، ولم يعيّن علماء التراجم تفصيل نشأته وتربيته وتعلمه، لكن تـدل المصـادر علـى أن معيشته كانت متواضعة ، وأنه لقي الصعوبات المالية في حـياته. ويـدل الحـال على أنه طلب العلم في مدارس بغداد، وتأثر بجوّها العلمي، وقصد مشايخها، حتى نبغ وصار عالماً، لأنّه كان مؤهّلاً بالذكاء والمواهب الفطرية التـي منحها الله تعالى له ، حتى بلغ شأوه - كما سنرى- قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "وأقام ببغداد دهراً" [٢]

رحلـته في طلب العلم : لـم تصرّح المصادر بشيء عن رحلته في طلب العلـم، هـذه الـرحلة التي كانت شائعة ومنتشرة في العالم الإسلامي،وكانت ميزة لصـاحبها، وتوفر له المزيج من المعرفة، والصلة بمختلف العلماء، والتفتح وسعة الاطلاع، حتى قيل: الرحلة نصف العلم، ولعل مكانة بغداد العلمية أغنته عن الرحلة، لكثرة علمائها، وتنوع المشارب فيها، والتقاء مختلف الفرق والمذاهب والميول بين درهاتهـا. ولكـن يؤخـذ من ذكر شيوخه الذين أخذ عنهم أنه انتقل لطلب العلم إلى البصـرة، ومكـة المكـرمة، والمدينة المنورة، وقد يكون التقى بعلماء البصرة في بغداد، وعلماء الحرمين في أثناء أداء فريضة الحج[٣].

شـيوخـه : أخذ القاضي عبد الوهاب رحمه الله العلم عن علماء كثر، وفي مخـتلف العلـوم التـي نبغ فيها.. كما سنرى- وكان شيوخه من كبار العلماء في

---

(١) وفيات الأعيان ٣٨٩/٢، شذرات الذهب ٢٢٥/٣، الديباج المذهب ص١٦٠، وذكر ابن فرحون رحمه الله تعالى في " الديباج " أنه توفي سنة ٤٣٠هـ ، وهو خلاف ما ذكره المؤرخون.

(٢) البداية والنهاية ٣٢/١٢، وانظر المراجع السابقة في اسمه ومولده، المعونة ، مقدمة التحقيق ٢٤/١، الاتحاف ١٠٣/١.

(٣) انظر : الاتحاف ١٠٤/١.

المعارف الكثيرة المتنوعة، ولم يحصر نفسه في المذهب المالكي فحسب ، بل درس على علماء المذاهب الأخرى ، وعلماء اللغة والأدب والحديث والوعظ والعقيدة والتفسير وأصول الفقه، منهم الحسين بن محمد، أبو عبد الله العسكري (٣٧٥هـ) وعمر بن محمد سن سَنَبك ، القاضي أبو القاسم البجلي (٣٧٦هـ)وعمر بن أحمد بن عثمان، أبو حفص الواعظ، المشهور بابن شاهين (٣٨٥هـ) ومحمد بن عبد الرحمن المخلص (٣٩٣هـ) وأحمد بن موسى العبدري، ابن الصلت المجير (٤٠٥ هـ) والحسن بن أبي بكر البزار الأصولي، المعروف بابن شاذان (٤٢٥هـ) وغيرهم [١].ولكن أشهر شيوخ القاضي عبد الوهاب الذين صرَّح بتأثره بهم أربعة ، وهم من كبار علماء بغداد المشهورين، ونقدم نبذة مختصرة عن حياتهم، وهم :

١- أبو بكر الأبهري: هو محمد بن عبد الله بن صالح بن عمر، أبو بكر الأبهري، التميمي، القاضي، الفقيه المالكي، المقرئ، الأصولي، الحافظ، ولد بأبهر (بين قزوين وزنجان) سنة ٢٨٩هـ /٩٠١م وسكن بغداد، وحدّث بها، روى عن أبي عروبة الحراني، ومحمد بن الحسن الأشناني، وابن أبي داود، وكثير من البغداديين وسواهم، وتفقه على يديه خلق كثير منهم القاضي عبد الوهاب المالكي الذي أخذ الفقه عنه وحدّث عنه وأجازه[٢].وأمضى أبو بكر الأبهري ستين سنة يدرس الفقه المالكي في العراق ويفتي وينجب العلماء، وصنّف المصنّفات الكثيرة المهمة في شرح مذهب الإمام مالك والاحتجاج له، والرّد على من خالفه، وانتهت إليه رئاسة

---

(١) ترتيب المدارك ٦٩١/٢، تبيين كذب المفتري ص ٢٥٠، شذرات الذهب ٢٢٣/٣، تاريخ بغداد ١١/ ٢٣١ المعونة ، مقدمة التحقيق ٢٥/١، الاتحاف، مقدمة التخريج ١٠٦/١.

(٢) ذكر الشيخ أبو إسحاق الشيرازي أن القاضي عبد الوهاب رأى القاضي الأبهري ولم يسمع منه، لكن نقل القاضي عياض عن الفقيه أبي الفضل أنه أنكر ذلك، وقال: " غير صحيح ، بل حدّث عنه وأجازه" طبقات الفقهاء ص ١٤٣، ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، وانظر سير أعلام النبلاء ٤٣١/١٧، شذرات الذهب ٢٢٣/٣.

المذهب المالكي في عصره، و له كتاب إجماع أهل المدينة وكتاب الدلائل والعلل، توفي ببغداد سنة ٣٧٥هـ /٩٨٥م [١].

٢- أبو الحسن ابن القصار: هو علي بن عمر بن أحمد، أبو الحسن ، المعروف بابن القصار، الفقيه المالكي، القاضي، تفقه بأبي بكر الأبهري، وأخذ العلم عنه ابن عمروس، وأبو ذر الهروي وجماعته، وتفقه عليه القاضي عبد الوهاب، ولي قضاء بغداد، وله كتاب في مسائل الخلاف (وهو كتاب فقه مقارن) وكتاب عيون الأدلة ،وهو كتاب فقه مقارن بأسلوب سهل. قال الشيرازي رحمه الله " لا أعْرف لهم كتاباً في الخلاف أحسن منه" وله كتاب "المقدمة في أصول الفقه" وتوفي سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٨م، وقيل ٣٩٧هـ [٢].

٣- ابن الجُلاب: هو عبيد الله بن الحسين بن الحسن بن الجُلاب، وكان من أفقه أصحاب الأبهري، وأحفظهم، وعنه أخذ العلم، وتتلمذ على يديه القاضي عبد الوهاب البغدادي وتفقه عليه، وكذا أبو الحسن علي بن القاسم بن محمد بن إسحاق الطالبي البصري. من مؤلفاته كتاب " التفريع " المشهور الذي ينقل عنه المالكية كثيراً [٣]، وله شرح على المدونة[٤]، ومسائل الخلاف، توفي سنة ٣٧٨هـ منصرفه من الحج[٥].

٤- القاضي الباقلاني: هو محمد بن الطيّب بن محمد بن جعفر، أبو بكر الباقلاني، البصري، سكن بغداد، ودرَّس فيها ردحاً من الزمان، القاضي، الفقيه

---

(١) ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، شذرات الذهب ٨٥/٣، تاريخ بغداد ٤٦١/٥، الديباج ص ٢٥٥، طبقات الفقهاء ص ١٦٧، شجرة النور الزكية ص ٩١، المدرسة العراقية ص ٥،٦، اصطلاح المذهب ص ٢٣١، الفتح المبين ٢٠٨/١، شذرات الذهب ٨٥/٣، الأعلام ٩٨/٧، مرجع العلوم الإسلامية ص ٥٨٢.

(٢) ترتيب المدارك ٦٠٢/٢، الديباج المذهب ص ١٩٩، شجرة النور ص ٩٢، طبقات الفقهاء ص ١٦٨، تاريخ بغداد ٤١/٢، شذرات الذهب ٢٢٣/٣، حسن المحاضرة ٣١٤/١، اصطلاح المذهب ص ٢٦٠، المدرسة العراقية ص ١٢، مرجع العلوم الإسلامية ص ٤٠٧.

(٣) حققه الدكتور حسن الدهماني في مجلدين ، ونشرته دار الغرب الإسلامي.

(٤) يوجد منه نسخة مخطوطة في خزانة القرويين برقم ٧٩٩، ونسخة أخرى في الرباط برقم ١٤٤٧.

(٥) شذرات الذهب ٢٢٣/٣، حسن المحاضرة ٣١٤/١، ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، طبقات الفقهاء ص ١٦٨، الديباج ص ١٦٨، اصطلاح المذهب ص ٢٣٤، المدرسة العراقية ص ٧.

المالكـــي، الأصـــولي، المتكلم، المحدّث المناظر، الملقب بشيخ السنّة، ولسان الأمة، وهـــو مـــن كـــبار علمـــاء الكـــلام على مذهب أهل السنّة، وأهل الحديث، وطريقة الأشعري.

أخـــذ الأصول على أبي بكر بن مجاهد، والفقه على الشيخ أبي بكر الأبهري، وتـــتلمذ علـــى يديـــه خلـــق كثير، كان منهم الأئمة والأعلام، كالقاضي عبد الوهاب البغدادي، وعلي بن محمد الحريري، وأبي عبد الله الأزدي، وأبي طاهر الواعظ،ومن أهل المغرب أبو عمر بن سعدي،وأبو عمران الفاسي، قال القاضي عياض رحمه الله تعـــالى عن القاضي عبد الوهاب: "ودَرَس الفقه والأصول والكلام على القاضي أبي بكر الباقلاني وصحبه" [1].

وكـــان كثير التصانيف، وجلّ تصانيفه في علم الكلام، ومنها كتاب "الإبانة عن إبطـــال أهل الكفر والضلالة" و "شرح أدب الجدل" و كتاب " الأصول الكبير والصغير" فـــي الفقـــه، وكتاب " إعجاز القرآن" وهو مشهور ومتداول ومطبوع، و "اللمع" و " أمالي إجماع أهل المدينة" و "المقدمات في أصول الديانات" و "التقريب والإرشاد" في أصـــول الفقه، و " كشف أسرار الباطنية" وهو أحسن كتبه للرد على الفاطميين، و " التمهـــيد" فـــي أصول الفقه، و "المقنع" في أصول الفقه، و"حقائق الكلام" و " مناقب الأئمـــة" و " الإنصاف" و " الملل والنحل" و " هداية المسترشدين" و "الاستبصار" و "تمهيد الدلائل" و "البيان عن الفرق بين المعجزة والكرامة".

ولد في البصرة سنة ٣٣٨هـ/ ٩٥٠م ، وسكن بغداد، وتوفي بها سنة ٤٠٣ هـــ /١٠٣١ ، وكان ذكياً غاية في الذكاء والفطنة، جيد الاستنباط، سريع الجواب، عظـــيم الجـــدل، له حلقـــة بجـــامع المنصور، وانتهت إليه رياسة المالكية بالعراق، والرياســـة فـــي مذهـــب الأشـــاعرة ، وإذا أطلـــق القاضـــي في أصول الفقه فهو المقصود[2].

---

(١) ترتيب المدارك ٢/٦٩٢.

(٢) ترتيـــب المـــدارك ٢/٥٨٥، والديباج ص ٢٦٧، شجرة النور ص ٩٢، وفيات الأعيان ٣٤٠٠، شذرات الذهب ٣/١٦٨، تبيين كذب المفتري ص ٢١٨، البداية النهاية ١١/٣٥٠، تاريخ بغداد ٥/٣٧٩، النجوم الزاهرة ٤/٢٣٤، الأعلام ٧/٤٦، مرجع العلوم الإسلامية ص ٣٣٩، المدرسة المالكية ص ٦.

أعمال القاضي عبد الوهاب:

اشتغل القاضي عبد الوهاب المالكي بثلاثة أعمال رئيسة، هي:

١ – التعليم والتدريس: مارس القاضي عبد الوهاب التدريس والتعليم في بغداد، ويفهم ذلك من ثنايا ترجمته، وتعداد تلامذته الذين كانوا يفدون إليه من جهات متعددة ويقصدونه للأخذ عنه، والتفقه عليه، ورواية الحديث، وسوف نذكر تلامذته في فقرة لاحقة. وهذا العمل هو المهنة الأساسية للعالم بعد أن يُحصّل العلوم، ويجلس للإفادة، ولم يكن التعليم والتدريس مهنة رسمية، وإنما يتولاها العلماء في بيوتهم ، وفي المساجد، وفي المدارس الخاصة إن وجدت، وأنشئت المدرسة النظامية الرسمية في بغداد بعد وفاته، وفي عهد السلاجقة[١].

٢ –التأليف: اشتغل القاضي عبد الوهاب بالتأليف والتصنيف في فقه مذهبه، وفي العلوم التي أتقنها وبرز فيها، قال ابن العماد رحمه الله " له كتب كثيرة في كل فن" [٢]، و قال القاضي عياض رحمه الله : " ألّفَ في المذهب، والخلاف، والأصول تواليف مفيدة"[٣] ، وقال مخلوف رحمه الله: " ألّفَ تآليف كثيرة مفيدة في فنون العلم" [٤]، وقال الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم علي متعه الله بالعافية: " ونالت مؤلفاته الشهرة عند المالكية المغاربة ، بل المشارقة، فهو وإن كان عراقياً في مدرسته المالكية، إلا أن آراءه اتسمت بتبنيها لمبادئ وقواعد الترجيح القيروانية المصرية.. ، بل لقد ظهر تأثير القاضي عبد الوهاب على المدرسة الأندلسية ممثلة في زعيمها أبي الوليد الباجي وكتابه " المنتقى" الذي تتردد على صفحاته آراء القاضي معزوة إلى كتبه" [٥].

---

(١) الإتحاف، مقدمة التخريج ١٣١/١.

(٢) شذرات الذهب ٢٢٣/٣.

(٣) ترتيب المدارك ٦٩٢/٢.

(٤) شجرة النور الزكية ص ١٠٤.

(٥) اصطلاح المذهب ص ٢٧١، وذكر أمثلة لذلك في "المنتقى".

وقال الدكتور صلاحين: " يعد القاضي عبد الوهاب أكثر مالكية العراق تصنيفاً في هذا الفن[1]، وسوف نذكر مصنّفاته وكتبه في سيرته العلمية إن شاء الله تعالى.

٣- القضـــاء: قال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى عن شيخه القاضي عبد الوهـــاب: " ولّـــيّ قضاء بادرايا وباكسايا"[2]وهما من أعمال العراق، كما نقلت كتب التراجم أن القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى تولّي القضاء في مناطق أخرى في عـــدة مـــدن في العراق وما يتصل بها، وبقي قاضياً مدة طويلة، حتى اشتهر بلقب القاضـــي، إمـــا لطـــول فترة توليه هذا المنصب الجليل والمهم والخطير والحساس والمقـــدس، مع انتقاله من جهة إلى أخرى في أنحاء العراق وفارس ومصر، وإما لإطـــلاق فقهـــاء المالكية ذلك عليه في كتبهم ، فصار هذا اللقب علماً عليه بالغلبة، فـــإذا قيل في كتب المالكية قال القاضي، أو ذهب القاضي إلى كذا، فهو المعنيُّ دون سواه، مع كثرة القضاة غيره.

وكـــان منصـــب القضاء من أعلى المناصب والرتب، ويحتل المكانة العليا في المجـــتمع، وكـــان القضـــاة المسلمون يختارون من جلّة الفقهاء والعلماء، ويؤدون رسالتهم على أسمى وجه، ولا يخافون لومة لائم، ويفرضون احترامهم على الرعاة والرعية، ويُشار لهم بالبنان، ويضربون المثل الأعلى في النزاهة والعدالة والتجرد، وهـــذا ما يضفي التقدير للقاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى. ولكنه لم يترك كتاباً خاصـــاً بالقضـــاء، ولم تفرد سيرته وأقضيته بالبحث والجمع والدراسة، كما لم ينله أحد بسوء أو مأخذ في عمله.

ولمـــا رحل القاضي عبد الوهاب إلى مصر تولى القضاء بها، وبقي قاضياً حتى توفي فيها سنة ٤٢٢هـــ، ولو كان ذلك لمدة قصيرة[3].

---

(١) المدرسة العراقية ص ٧.

(٢) تاريخ بغداد ٣١/١١، وانظر: مختصر تاريخ دمشق ٢٨٤/١٥.

(٣) ترتيـــب المـــدارك ٢/ ٦٩٢ ، حســـن المحاضرة ٣١٤/١ ، تاريخ بغداد ١١/ ٣١، الاتحاف ، مقدمـــة الـــتخريج ١٢٩/١، وفيات الأعيان ٣٨٧/٢، ٣٨٩، الديباج ص ١٥٩، شجرة النور ، ص ١٠٣، تاريخ قضـــاة الأندلـــس ص ٤٠، شذرات الذهب٢٢٣/٣، البداية والنهاية٣٢/١٢، مرجع العلوم الإسلامية،ص ٤٠٧.

خروجه من العراق:

كانت دار الإسلام واحدة، وإن اختلف الحكم والحكام فيها، وكان الناس عامة، والعلمـــاء خاصـــة يرحلون من بلد إلى آخر للتجارة والعلم والتكسب، وكان العلماء يـــتولون المناصـــب العليا في البلاد التي يرحلون إليها، ويتبوؤن المراكز المناسبة دون غضاضة أو نزعة إقليمية جائرة وباطلة.

وعـــاش القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى معظم حياته في العراق ورحل إلـــى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وعاد إلى عمله فيها، ثم خرج من بغداد في آخـــر عمـــره إلى مصر إما بسبب خلاف مذهبي مع بعض العلماء[1]، وهو احتمال ضـــعيف، وإمـــا بقصـــد التكسب وطلب الرزق والمعيشة، وهو الغالب، كما صرحت معظم كتب التراجم، ونطق به القاضي عبد الوهاب نفسه لما لحقه من الفاقة وضيق ذات اليد.

قـــال ابـــن بسام رحمه الله " ونَبَت به بغداد كعادة البلاد بذوي فضلها، وكحكم الأيـــام في محاسني أهلها، فودَّع ماءها وظلها، وحُدثت أنه تبعه يوم فَصَلَ عنها من أكابـــر أهلهـــا و أصحاب محابرها جملة موفورة وطوائف كثيرة، وأنه قال لهم : لو وجـــدت بيـــن ظهرانيكم رغيفين كل غداة وعشية ما عدلت ببلدكم بلوغ أمنية"، وفي ذلك يقول:

سلامٌ على بَغدادَ في كل موطـــن ... وحُقَّ لها مني سلامٌ مضاعفُ

فوالله ما فارقتُها عن قِلى لـــها ... وإني بشطي جانبيها لعارفُ

ولكنها ضاقتْ عليَّ بأســـرهـــا ... ولم تكن الأرزاق فيها تُساعفُ

وكانت كخِلٍّ كنتُ أهوى دنوه ... وأخلاقُه تنأى به وتُخالفُ[2]

---

(1) قيل إن القاضي عبد الوهاب تكلم عن الشافعي فخاف عاقبة ذلك (ترتيب المدارك ٢/٦٩٣) وهذا مستبعد لأن كتـــبه كثـــيرة في الفقه المقارن. مع نقل أقوال أئمة المذاهب، ومنها أقوال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

(2) شذرات الذهب ٣/٢٢٤، الديباج ص ١٥٩، ترتيب المدارك ٢/٦٩٣.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى " وخرج من بغداد لضيق حاله، فأكرمه المغاربة وأعطوه ذهباً فتمول جداً" [1] وقال الكتبي :"وخرج إلى مصر في آخر عمره لإملاق به" [2]، وقال السيوطي: "وتحوّل إلى مصر لضيق حاله ببغداد"[3].

وودّع القاضي عبد الوهاب بغداد متحسراً على فراقها، وأنشد قصيدة في غرامها، وأنه كان مضطراً للغياب عنها، وكان يحنُّ إليها باستمرار، ويبثها عواطفه وأشعاره ويتشوق للعودة إليها.

ومرَّ في طريقه على بلاد الشام[4] وزار معرة النعمان، ولقي الشاعر الفيلسوف أبا العلاء المعري ، فاستضافه ، وتبادل معه الشعر، ومدحه أبو العلاء على علمه وشعره.

ووصل القاضي عبد الوهاب مصر، ورحّب به أهلها، وأغدقوا عليه العطايا، وتزوج بها، وتولي القضاء فيها، واحتل ما يستحق من مكانة مرموقة بين أهلها.

وقال ابن العماد رحمه الله تعالى " " ثم توجه إلى مصر فحمل لواءها، وملأ أرضها وسماءها، وأمتع سادتها وكبراءها، وتناهت إليه الغرائب، وانثالت في يديه الرغائب، فمات لأول ما وصلها"[5].

وكان المالكية في مصر خاصة، والمغرب عامة يعرفون قدر القاضي عبد الوهاب ومكانته، لأنه أقام جسراً متيناً بين المشارقة والمغاربة في شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني التي تحتل المكانة الأولى في المغرب بعد الموطأ والمدونة – كما

---

(1) البداية والنهاية ٣٢/١٢، والمقصود بالمغاربة أهل حي المغاربة من المالكية في جوار الأزهر بالقاهرة.

(2) فوات الوفيات ٤٥/٢.

(3) حسن المحاضرة ٣١٤/١، ومن شعر القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى في ذلك :

بغدادُ دارٌ لأهل المال طيّبة ... ولنصعاليك دار الضنك والضيق

أصبحت فيها مضاعاً بين أظهرهم ... كأنني مصحف في بيت زنديق

الديباج ص ١٦٠، البداية والنهاية ٣٢/١٢،الأعلام ٣٣٥/٤.

(4) قال ابن عساكر : " قدم الشيخ.. دمشق في شوال سنة ٤١٩هـ ، وخرج في جمادى الأولى سنة عشرين و أربع مائة ، وتوفي بمصر"مختصر تاريخ دمشق ٢٨٣/١٥.

(5) شذرات الذهب ٢٢٤/٣، وانظر: الديباج ص ١٥٩.

سنرى- وانتقلت كتب القاضي عبد الوهاب وآراؤه ، وعلمه إلى مصر والمغرب، ولذلك عظّموه وأكرموه غاية الإكرام[1].

تلامذته : جمع القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى بين التأليف والقضاء والتدريس، وكان غالب تدريسه وتخصصه في الفقه وعلم الخلاف (الفقه المقارن) وأصول الفقه، وحدَّث قليلاً، وأخذ كثير من الطلاب العلم عنه[2].

ونذكر أربعة من أشهر تلامذته الذين أخذوا عنه، وحدَّثوا ، ثم نبغوا في العلم في الفقه والحديث، فكانوا أعلاماً ، وهم:

١- الخطيب البغدادي: وهو أحمد بن علي بن ثابت، أبو بكر، المعروف بالخطيب البغدادي، أحد حفّاظ الحديث، المؤرّخ، الفقيه الشافعي، ولد في غُزَية، منتصف الطريق بين الكوفة ومكة سنة ٣٩٢هـ /١٠٠٢م ونشأ في بغداد، وتوفي بها سنة ٤٦٣هـ /١٠٧٢م ، وطلب الحديث من الصغر، وصرّح بالأخذ عن القاضي عبد الوهاب ووثَّقه وقال: " حدَّث بشيء يسير، كتبتُ عنه، وكان ثقة" وروي عنه حديثاً بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الأبعد الأبعدُ إلى المسجدِ أعظمُ أجراً "[3] ، ورحل إلى الأقاليم لطلب الحديث، وحج وسكن الشام إحدى عشرة سنة، ثم عاد إلى بغداد، وكان فقيهاً، وغلب عليه الحديث والتاريخ، وحدّث، وأخذ بالتأليف، وبلغت مصنفاته ستين كتاباً، وفي مرض الموت وقف كتبه، وفرّق جميع ماله في وجوه الخير، ولم يكن له عقب.

من كتبه "تاريخ بغداد" وهو أفضلها، و"الكفاية في علم الرواية" في مصطلح الحديث و"الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع"، عشر مجلدات، و"تقييد العلم"،

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٧/٤٣٠، تبيين كذب المفتري ص ٢٥٠، طبقات الفقهاء ص ١١٨، شذرات الذهب ٣/٢٢٤، وفيات الأعيان ٢/٣٨٨، ترتيب المدارك ٢/٦٩٢، تاريخ بغداد ١١/٣١، فوات الوفيات ٢/٤٥ البداية والنهاية ١٢/٣٢، حسن المحاضرة ١/٣١٤، تاريخ قضاة الأندلس ص٤١، الديباج ص ١٥٩، المعونة مقدمة التحقيق ١/٢٨، الإتحاف، مقدمة التخريج ١/١٣٥،

(٢) تاريخ قضاة الأندلس ص ٤١.

(٣) تاريخ بغداد ١١/٣١-٣٢.

و"شـرف أصـحاب الحديـث"، و"الفقـيه والمـتفقه"، و"الرحلة في طلب الحديث"، وغيرها[1].

٢- الشـيخ أبو إسحاق الشيرازي: إبراهيم بن علي بن يوسف، الشيخ أبو إسـحاق الشـيرازي الفيروز آبادي، الفقيه الشافعي، الأصولي، النظار، ولد بفيروز آبـاد بفارس سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م، ونشأ بها، ثم دخل شيراز وتفقه بها ونسب إلـيها، ثـم رحل إلى البصرة، ودخل بغداد سنة ٤١٥هـ، وتفقه على القاضي أبي الطيـب الطـبري والقاضي عبد الوهاب المالكي وقال عنه: " أدركته وسمعت كلامه يـناظر، وـله كتـب كثـيرة في الفقه" وكان يضرب المثل بالشيرازي في الفصاحة والمناظرة.

وصـفه النووي رحمه الله تعالى بعبارات رائعة وصفات سامية،وكانت الطلبة تـرحل إلـيه من المشرق والمغرب، وتُحمل إليه الفتاوى، واشتهر بقوة الحجة في المـناظرة، وبـنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية في بغداد ، فدرَّس فيها، وعـاش فقيراً صابراً ينظم الشعر، مات ببغداد سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م وصلى عليه الخلـيفة المقـتدي العباسي، وإذا أطلق الشيخ في كتب الشافعية فهو المراد، وكان شـيخ الشـافعية بـبغداد. ألّـف التصانيف النافعة المفيدة المشهورة، منها التنبيه والمهـذب في الفقه، واللمع، والتبصرة، وشرح اللمع في أصول الفقه، والملخص، والمعونة في الجدل والنكت في الخلاف، وطبقات الفقهاء وغيرها[2].

---

(١) تذكرة الحفاظ ٣/١١٣٥، طبقات الشافعية الكبرى ٤/٢٩، تبيين كذب المفتري ص ٢٦٨، وفيات الأعيان ١/٧٦، البداية والنهاية ١٢/١٠١، شذرات الذهب ٣/٣١١، طبقات الحفاظ ص ٤٣٤، طبقات الشافعية للإسـنوي ١/٢٠١، الأعلام ١/١٦٦، مرجع العلوم الإسلامية ص ٢٦٢، سير أعلام النبلاء ١٨/٢٧٠، تاريخ بغداد ١١/٣١، ترتيب المدارك ٢/٦٩٢، المعونة ١/٣٨.

(٢) طـبقات الشـافعية الكـبرى ٤/٢١٥، وفـيات الأعيان ١/٩ ، تهذيب الأسماء ٢/١٧٢ ، تبيين كذب المفـتري ص ٢٧٦، البداية والنهاية ١٢/١٢٤، شذرات الذهب ٣/٣٤٩، الأعلام ١/٤٤، مرجع العلوم الإسلامية ص ٤٢٩، سير أعلام النبلاء ١٨/٤٥٢، المعونة ١/٣٩، المهذب، مقدمة التحقيق للباحث ١/ ١١ ومابعدها.

٣- أبو الفضل الدمشقي: مسلم بن علي بن عبد الله، أبو الفضل الدمشقي، كان ملازماً لشيخه القاضي عبد الوهاب في الصحة والخدمة ، حتى عُرف بغلام عبد الوهاب. كان فقيهاً مالكياً مشهوراً، له كتاب الفروق، وهو معروف، ودرّس ، وأخذ عنه الناس[١].

٤- ابن عمروس: محمد بن عبد الله بن أحمد بن عمروس ولد ببغداد سنة ٣٧٢هـ / ٩٨٢م شيخ المالكية، وإليه انتهت الفتوى ببغداد، وكان من كبار المقرئين، وفقيهاً وأصولياً، وله تلاميذ كثر. كان من حفّاظ القرآن ، وكان ثقة ديّناً مشهوراً، أخذ عن القاضي عبد الوهاب، وأخذ عنه أبو الوليد الباجي، والخطيب البغدادي، وله تعليق في الخلاف، كبير ومشهور، ومقدمة في أصول الفقه، وتوفي ببغداد سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م[٢].

ومن تلاميذ القاضي عبد الوهاب شيخ المالكية عبد الحق بن هارون، أبو محمد السهمي الصقلي (٤٦٦هـ) لقي القاضي في الحج وأخذ عنه. ومنهم أحمد بن منصور بن محمد بن قبيس، الغساني، الدمشقي، يروي كثيراً عن القاضي عبد الوهاب[٣].

صفاته وفضائله: اتصف القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى بصفات حميدة، وفضائل جمة، تتناسب مع علمه، ويتجمل بها العلماء والفقهاء والمحدثون، أهمها الورع عن محارم الله، والتقوى بالتزام شرعة الله، واتصف بالكرم والسخاء فكان كريماً جوّاداً منفقاً لماله على طلاب العلم،[٤] وكان صبوراً على الحال التي يعانيها،

---

(١) ترتيب المدارك ٢/٧٦٥، المعونة، مقدمة التحقيق ١/٣٩، ولم تذكر المراجع تاريخ وفاته.

(٢) ترتيب المدارك ٢/٧٦٥، شجرة النور ص ١٠٥، طبقات الفقهاء ص ١٦٩، تبيين كذب المفتري ص ٢٦٤، تاريخ بغداد ٢/٣٣٩، شذرات الذهب ٣/٢٩٠ ، مرجع العلوم الإسلامية ، ص ٤٠٨، ١/٤٣ الاتحاف ١/١٠٠، الديباج المذهب ص ١٦٩.

(٣) الديباج ص ١٦٩، شجرة النور ص ١١٦، سير أعلام النبلاء ١٨/٣٠١، ٣٤٧، ترتيب المدارك ٢/ ٧٦٥، المعونة ، مقدمة التحقيق ١/١١٠.

(٤) قال القاضي عبد الوهاب عن فراق بغداد: " ولقد ترك لي أبي جملة دنانير ودراهم أنفقتها كلها على صعاليك من كان ينهض بالطلب عندي" ترتيب المدارك ٢/٢٩٣.

ومـــتعففاً عمـــا في أيدي الناس، وكان شجاعاً في مواجهة الحكام في التزام الشرع وإقامـــة العدل ومنع المظالم شأنه في ذلك شأن قضاة العدل لا يخافون في الله لومة لائـــم، وكـــان عابداً زاهداً متأدباً ثقة، وكان كثير الحفظ، حسن النظر، جيد العبارة، أديباً[1].

وفاتـــــه : لـــم يعمّر القاضي عبد الوهاب عمره المادي طويلاً، ولكن عمره العلمـــي والأدبـــي والمعنوي والفكري كان جليلاً وطويلاً، فغاب جسمه وبقيت روحه الطاهـــرة وعلمـــه الـــنافع وذكراه العطرة، ونَفَسُه الطيّب حتى اليوم والى أن تقوم الســـاعة، وتـــتردد أقواله وآراؤه في الكتب ومجالس العلم، وينقل العلماء جيلاً عن جـــيل مـــن كتبه ومعارفه ما يكوّن أثراً طيباً يستحق به الرحمة والثناء " ونكتب ما قدموا وآثارهم" الكهف / ١٢ ، قال الشاعر:

دقـــات قلـــب المرء قائلـــة لـــه ... إن الحياة دقائـــــق وثوان

فارفع لنفسك قبل موتك ذكرهـــا ... فالذكـــــر للإنسان عمر ثان

أقام القاضي عبد الوهاب بمصر مدة قصيرة، ثم جاءه مَلَك الموت، وتوفاه الله لـــيلة الاثنيـــن الرابعة عشرة من صفر سنة ٤٢٢هـــ ، وقيل في شعبان من السنة المذكورة[2].

قـــال ابـــن خلّكان رحمه الله :" تم توجّه إلى مصر فحمل لواءها، وملأ أرضها وســـماءها واســـتتبع ســـادتها وكـــبراءها، وتناهـــت إليه الغرائب، وانثالت في يده الرغائـــب، فمات لأول ما وصلها من أكلة اشتهاها فأكلها ، قال وهو يتقلب، ونفسه تتصـــعد وتتصـــوب: لا إله إلا الله ، إذا عشنا متنا"[3]. وكان سنّه ستين سنة ، وقيل

---

(١) انظر : الاتحاف، مقدمة التخريج ١٣٢/١، المعونة، مقدمة التحقيق ٣٢/١، ومراجع ترجمته.

(٢) قـــال الخطيب البغدادي: مات أبو نصر بمصر في شعبان من سنة ٤٢٢هـــ " تاريخ بغداد ٣٢/١١، ونقل بعـــض العلمـــاء هـــذا القـــول، ويُرجّح ضعفه، أو وجود التباس وخطأ فيه، لأنه قال: " مات أبو نصر" والقاضي عبد الوهاب أبو محمد، وأكثر المصادر على تحديد الوفاة في صفر والله أعلم.

(٣) وفيات الأعيان ٣٨٨/٢.

٧٣ســـنة وهـــو قـــول ضعيف. ودفن بالقرافة الصغرى، وقبره قريب من قبر الإمام الشافعي وابن القاسم وأشهب رحم الله الجميع[١].

قـــال النُباهـــي رحمـــه الله تعالى عنه : " ولما وصل مصر، وبنيّته المَغْرِبَ، وُصـــفت له بـــلادُه ، فزهد فيها، وقد كان خاطب فقهاء القَيْروان، ورام القدوم على الأندلـــس، وكتـــب أيضاً في ذلك إلى مجاهِد الموُفَّق صاحب دانية[٢] وعاجَلتْه منيّتُه، وتوفـــي بمصـــر في شعبان سنة ٤٢٢هـــ، وقد جاز المعتَرك، وحكي أنه لما أحسَّ الموت، وهو بمصر، إثر ما اتسعت حاله، قال: لا إله إلا الله، لما عشنا متنا"[٣].

❁❁❁

---

(١) تـــاريخ بغـــداد ٣٢/١١، وفيات الأعيان ٣٨٨/٢، ترتيب المدارك ٦٩٥/٢، الديباج ص ١٦٠، مختصر تـــاريخ دمشق ٢٨٤/١٥، شذرات الذهب ٢٢٤/٣، حسن المحاضرة ٣١٤/١، فوات الوفيات ٣٨٨/١، ســـير أعـــلام النبلاء ٤٢٩/١٧، تاريخ قضاة الأندلس ص ٤٢، تبيين كذب المفتري ص ٢٥٠، شجرة النور ص ١٠٤، الأعلام ٣٣٥/٤، مرجع العلوم الإسلامية ص ٤٠٧.

(٢) دانية : مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقاً (مراصد الاطلاع ٥١٠/٢).

(٣) تاريخ قضاة الأندلس، وهو المرقبة العليا ص ٤٢، وانظر : ترتيب المدارك ٦٩٤/٢، ٦٩٥.

المبحث الثاني

سيرة القاضي عبد الوهاب العلمية

كان القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى من كبار العلماء المشهورين، والمشهود لهم بالفضل والعلم، ممن يشار إليهم بالبنان،وترك بصماته الظاهرة في المذهب المالكي خاصة، والفقه عامة، وفي مختلف العلوم بشكل أعم، وذلك عن طريق التأليف والتصنيف، فكانت كتبه مرجعاً لغيره، ومصدراً للعلماء والفقهاء والباحثين والمصنفين.

قال عنه الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى: " هو الإمام العلامة، شيخ المالكية"[1].

وقال عنه ابن خلّكان رحمه الله تعالى : "كان فقيهاً أديباً شاعراً، صنّف في مذهبه"[2].

وقال عنه ابن فرحون رحمه الله تعالى : " أحد أئمة المذهب.. ، وكان حسن النظر، جيد العبارة، نظّاراً، ناصراً للمذهب، ثقة، حجة، نسيج وحده، وفريد عصره" ثم قال: " وألّف في المذهب والخلاف والأصول تآليف كثيرة مفيدة"[3].

وقال الكتبي رحمه الله تعالى : " وكان شيخ المالكية في عصره، وعالمهم"[4].

وقال الشيرازي رحمه الله تعالى : " وكان فقيهاً متأدباً شاعراً، وله كتب كثيرة في كل فن من الفقه"[5].

وقال السيوطي رحمه الله تعالى : " القاضي عبد الوهاب.. أحد الأعلام، وأحد أئمة المالكية المجتهدين في المذهب له أقوال وترجيحات[6].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٧/٤٢٩.

(٢) وفيات الأعيان ٢/٣٨٧.

(٣) الديباج المذهب ص ١٥٩.

(٤) فوات الوفيات ٢/٤٤.

(٥) طبقات الفقهاء ص ١٦٨، وانظر: ترتيب المدارك ٢/٦٩٢، تبيين كذب المفتري ص ٢٥٠.

(٦) حسن المحاضرة ١/٣١٤.

وجمع القاضي عبد الوهاب بين أهم علوم الشريعة، وهي الفقه، و أصول الفقه، وعلـــم الخـــلاف (الفقـــه المقارن) والحديث، فتنوعت معارفه، فهو فقيه، وأصولي، ومحـــدث، وأديب، وشاعر، وهذا يتفق مع تنوع الثقافة والمعرفة في عصره، وأخذ عن كثير من شيوخ الحديث أكثر من شيوخه في الفقه والأصول، لكن تأثره بشيوخ الفقـــه والأصول كان أكثر تبعاً لميله ورغبته واستعداده للفقه والأصول، وظهر ذلك فـــي مؤلفاتـــه. وكـــان القاضـــي عبد الوهاب أحد أركان المدرسة العراقية للمذهب المالكـــي،وأحد دعائمهـــا، ولكنه كان آخر من يمثل هـــذه المدرسة، وآخـــر العلماء الكـــبار مـــن المذهب المالكي في العراق[1]، وكان لهذه المدرسة أثر كبير في الفقه المالكي، وعلى سائر مدارس المالكية في الغرب الإسلامي، مما يدعونا للتعرض لها بإيجاز.

القاضي عبد الوهاب والمدرسة المالكية في العراق :

كـــان القاضـــي عبد الوهاب من أعلام المدرسة المالكية في العراق التي بلغت عصـــرها الذهبـــي فـــي القرنين الثالث والرابع، ثم بدأ نجمها يأفل مع بدايات القرن الخـــامس عندما سيطر الشافعية بزعامة أبي حامد الاسفراييني(٣٤٤هـــ-٤٠٦هـــ) علـــى العـــراق. وتمكنـــت مـــن إزاحة أتباع المذهب المالكي من القضاء والمناصب العامـــة، ولعل ذلك أحد الأسباب التي اضطرت القاضي عبد الوهاب إلى الهجرة إلى مصـــر، ولـــم يعـــد للمالكـــية وجود في العراق، إلا بظهور أحد العلماء بين الفينة والأخرى. لكن امتازت المدرسة العراقية في المذهب المالكي بميزات عن غيرها من مـــدارس المالكية، وانتقلت آثارها في سائر المدارس، وفرضت وجودها واحترامها علـــى علمـــاء المالكـــية فـــي مصر والقيروان والمغرب والأندلس، من خلال كتبها وعلمائها، ومنهم القاضي عبد الوهاب، وأهم هذه الميزات هي[2]:

---

(١) المعونة، مقدمة التحقيق ١/٥٩.

(٢) المدرسة العراقية ص ٥ و٧ وما بعدها.

١- سعة الاطلاع على المذاهب الأخرى: بسبب البيئة العلمية في العراق، وتجلت بكثرة المصنّفات التي ألّفها علماء المالكية في الخلاف والرد على بعض المخالفين من المذاهب الأخرى، وللنشاط العلمي والجدل والمناظرات بين علماء المذاهب، وكان القاضي عبد الوهاب أحد فرسان هذا الميدان.

٢- التصنيف في الخلافيات: وهذه الميزة فرع عن السابقة، وذلك لكثرة المذاهب الفقهية في العراق، ومعاصرة مالكية العراق للحنفية والشافعية، وكان للقاضي عبد الوهاب القدح المعلى في التصنيف في الخلافيات، كما سنرى، كالممهد ، والنصرة، والإشراق،والمعونة، والرد على المزني.

٣- التصنيف في أصول الفقه: فقد سبق علماء المالكية في العراق غيرهم من المالكية في التصنيف في علم أصول الفقه، وذلك لما أحدثه أول كتاب في ذلك وهو " الرسالة للإمام الشافعي" من إثارة الهمم في الدراسة والتصنيف لأصول كل مذهب من المذاهب الفقهية وساهم القاضي عبد الوهاب في ذلك في عدة كتب أصولية كما سنرى، كالإفادة وغيرها.

٤- التصنيف في القواعد الفقهية والفروق: وهو العلم الذي بدأ ظهوره في هذا العصر، وتفرع عن علم الفقه، لجمع الأحكام الفقهية المتشابهة، ووضعها في مبادئ عامة، وتقعيد القواعد لها، وبيان الفروق الفقهية بين الأحكام والفروع، وسبق القاضي عبد الوهاب في هذا المجال في كتابيه "النظائر" و "الفروق" كما سنرى.

٥- الميل إلى تفريع المسائل: ظهر الميل في المدرسة المالكية في العراق إلى تفريع المسائل، وتوليدها مما لم يقع، وهو المعروف بالفقه الفرضي أو الافتراضي أو التقديري، وذلك بالتأثر من بقية المذاهب التي سلكت هذا المنهج.

٦- التوسع في الاستدلال : اتسمت مصنّفات علماء المالكية في العراق بطول النَفَس، والتوسع في الاستدلال، وذكر الأدلة والحجج والتعليل والمناقشة للآراء والأدلة المخالفة.

وتجلت آثار المدرسة العراقية عامة، وكتب القاضي عبد الوهاب خاصة، في الفقه المالكي بشكل عام، وفي المغرب والأندلس بشكل خاص، في الأمور التالية:

١- تتلمذ كثير من فقهاء المالكية في المغرب والأندلس على فقهاء المالكية في بغداد مباشرة بالرحلة إليهم في طلب العلم، أو عند انتقال فقهاء بغداد إلى المغرب،كما حصل مع القاضي عبد الوهاب في خروجه إلى مصر، بالإضافة إلى المكاتبة بين فقهاء المشرق والمغرب، والإجازة بينهم.

٢- اشتراك فقهاء المالكية بالعراق في شرح أمهات كتب المذهب المالكي ومختصرته، ودواوينه، وكتبه المشهورة، أو اختصارها، وهو ما فعله القاضي عبد الوهاب في شرح رسالة ابن أبي زيد، واختصار مدونة سحنون .

٣- اعتماد كتب مالكية العراق الفقهية والأصولية والحديثية والخلافية كمصادر للتصنيف في مختلف المدن الإسلامية كدمشق، والقاهرة، والقيروان، والمغرب الأقصى، والأندلس، ومنها كتب القاضي عبد الوهاب.

٤- اعتماد الاختيارات والآراء والترجيحات والروايات التي ذكرها فقهاء المالكية في العراق عند علماء المغرب والأندلس، ومنها آراء وأقوال القاضي عبد الوهاب[١].

---

(١) ظهر ذلك واضحاً في تأثير القاضي عبد الوهاب على مدرسة الأندلس متمثلة في زعيمها أبي الوليد الباجي (٤٧٤هـ) وكتابه المنتقى الذي تتردد على صفحاته آراء القاضي عبد الوهاب معزوة إلى كتبه: التلقين، والإشراف،والمعونة. وربما مال الباجي في بعض القضايا إلى ترجيح رأي القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وأضاف الدكتور محمد إبراهيم علي فقال: " وكذا فكتبه تعتبر جسراً يربط بين آراء الفرع المالكي العراقي، وترجيحات الفرع المصري القيرواني، وكان للاهتمام الذي أولاه لكتب عميد المدرسة القيروانية ابن أبي زيد في شرحيه على الرسالة والمختصر قدر كبير من العرفان لدى علماء المدرسة القيروانية ، ظهر واضحاً في ترحيبهم وتقديرهم لكتب القاضي عبد الوهاب وآرائه تقديراً كان

سرد مؤلفات القاضي عبد الوهاب:

جـــاءت مؤلفـــات القاضـــي عبد الوهاب رحمه الله تعالى متنوعة في مختلف العلـــوم الشـــرعية، كمـــا سنرى، وبعضها مكرر بعناوين متقاربة، وقليل منها طبع ونشر،وكان بعضها كاملاً، وبعضها لم يتم،وبعضها ثبتت نسبته إليه، وبعضها معزو إلى اسمه مع الشك في صحة نسبته، ونسردها بالترتيب الألفبائي، ثم نصنفها حسب العلوم ونعطي لمحة موجزة عن كل منها، وهي:

١- اختصار عيون الأدلة لشيخه ابن القصار.

٢- الأدلة في مسائل الخلاف، أو أوائل الأدلة في مسائل الخلاف بين فقهاء الملة.

٣- الإشراف على مسائل الخلاف، أو على نكت مسائل الخلاف.

٤- الإفادة في أصول الفقه.

٥- أوائل الأدلة في مسائل الخلاف، أو مسائل الخلاف بين فقهاء الملة.

٦- التلخيص في أصول الفقه، وهو الملخص.

٧- التلقين، أو تلقين المبتدى وتذكرة المنتهي (في الفقه المالكي).

٨- تقييد على الأحكام الخمسة.

٩- الجوهرة في المذاهب العشرة .

١٠- الرد على المزني.

١١- شرح الرسالة، وهو المعرفة في شرح الرسالة.

١٢- شرح التلقين ، واسمه المعين.

١٣- شرح فصول الأحكام، وبيان ما مضى به العمل عند الفقهاء والحكام.

١٤- شرح المدونة، لم يتم.

١٥- عيون المجالس في فقه مختلف المذاهب.

١٦- عيون المسائل في الفقه.

١٧- غرر المحاضرة ورؤوس مسائل المناظرة.

مـــن مظاهـــر النقل من كتبه ، والاستدلال بتوجيهاته ، والأخذ بترجيحاته،"اصطلاح المذهب ص ٢٧١، وانظر المدرسة العراقية، صلاحين ص١١-١٢.

١٨- الفروق في مسائل الفقه.

١٩- مؤلف في العقيدة ، ولعله مقدمه عقدية لأحد كتبه.

٢٠- المروزي في الأصول.

٢١- مسائل الخلاف بين فقهاء الملة، ولعله أوائل الأدلة في مسائل الخلاف، أو الأدلة في مسائل الخلاف.

٢٢- مسلك الجلالة في مسند الرسالة، وهو شرح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني.

٢٣- المعرفة في شرح الرسالة، وهي المشهورة بعنوان شرح الرسالة[١].

٢٤- المعين ، وهو شرح التلقين، لم يتمه.

٢٥- المفاخر (في أصول الفقه).

٢٦- المعونة، أو المعونة لدرس مذهب عالم المدينة.

٢٧- الملخص في أصول الفقه ، وهو التلخيص.

٢٨- الممهد في شرح مختصر الشيخ أبي محمد، وصل إلى نصفه.

٢٩- النصرة لمذهب إمام دار الهجرة.

٣٠- النظائر في الفقه المالكي، وفي نسبته للقاضي عبد الوهاب شك.

٣١- الواضحة في تفسير الفاتحة.

وسوف نعرض بإيجاز لأهم هذه الكتب في دراسة القاضي عبد الوهاب فقيهاً، وأصولياً، ومحدّثاً، وأديباً وعالماً.

القاضي عبد الوهاب فقيهاً:

اتفق العلماء على وصف القاضي عبد الوهاب بالفقيه، فقد درس الفقه في الصغر، ومارسه في الكبر، وصنّف فيه، وصار أحد أئمة المالكية، وانتهت إليه رئاسة المذهب، وأصبحت آراؤه معتبرة عند علماء المذهب المالكي.

---

[١] فوات الوفيات ٢/٤٥.

وصـــفه تلميذه الخطيب البغدادي فقال: " الفقيه المالكي.. لم نلق من المالكيين أفقه منه"[١].

وقال تلميذه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى : " وله كتب كثيرة في كل فن في الفقه" [٢].

وقال عنه ابن كثير رحمه الله تعالى: " أحد أئمة المالكية ومصنفيهم"[٣].

وقال السيوطي رحمه الله تعالى :" أحد الأعلام، وأحد أئمة المالكية المجتهدين في المذهب، له أقوال وترجيحات وانتهت إليه رياسة المذهب"[٤].

وقال الكتبي :" كان شيخ المالكية في عصره وعالمهم"[٥].

وقـــال القاضي عياض: " وألف في المذهب والخلاف والأصول تواليف بديعة مفيدة"[٦].

درس القاضـــي عـــبد الوهـــاب الفقـــه الإســـلامي، وتعمق فيه، وصنّف فيه المصـــنفات الكثـــيرة على مختلف المستويات، وتعدد الغايات، وبرز فيه، وأكثر من الاشـــتغال بـــه علماً وعملاً، وتصنيفاً، وتطبيقاً في القضاء، وأثرى المكتبة الفقهية بمؤلفـــات كثـــيرة، واستحق ثناء العلماء عليه، فكانت سبباً في شهرته في المذهب المالكـــي وفـــي المذاهـــب الأخـــرى، حتى سمي الفقيه المالكي،وانتهت إليه رئاسة المالكـــية في عصره ببغداد والقاهرة ، وانتقل أثره وذكره إلى الشرق والغرب حتى الآن.

---

(١) تـــاريخ بغـــداد ٣١/١١، ونقله عياض في ترتيب المدارك ٦٩١/٢، وابن العماد في شذرات الذهب ٢٢٣/٣.

(٢) طـــبقات الفقهـــاء ص ١٦٨، ونقلـــه المؤرخ الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٣١/١٥، وابن عساكر في تبيين كذب المفتري ص ٢٥٠.

(٣) البداية والنهاية ٣٢/١٢ وانظر: الأعلام ٣٣٧/٤.

(٤) حسن المحاضرة ٣١٤/١، وانظر: شذرات الذهب ٢٢٣/٣، المعونة ، مقدمة التحقيق ٣٢/١، المدرسة العراقية ص ٥.

(٥) فوات الوفيات ٤٤/١، وانظر: وفيات الأعيان ٣٨٧/٢.

(٦) ترتيب المدارك ٦٩٢/٢.

واشـــتغل القاضـــي عـــبد الوهـــاب بعلم الخلاف، وهو ما يعرف اليوم بالفقه المقـــارن، ويعنـــي بـــيان آراء المذاهـــب الفقهية وذكر أدلتهم، ومناقشتها لمعرفة الصـــحيح منها والضعيف، ثم ترجيح ما يدعمه الدليل، مع التوسع أو الاختصار أو التوسط بحسب منهج الباحث، ونَفَسِه في كتابة علم الخلاف.

فألّف في الفقه المجرد عن الأدلة كتباً تعتبر كتباً دراسية للمبتدئين ،كالتلقين، وألّـــف في الفقه المقترن بالأدلة من الآيات والأحاديث وآثار الصحابة عدة كتب تعدّ مرجعاً للباحثين والعلماء، وأصحاب المذاهب، فمن ذلك كتابه " الإشراف على مسائل الخـــلاف"، الذي يبين فيه الحكم الفقهي حسب المذهب المالكي، ثم يعقبه بالأدلة التي تقـــابل أقـــوال بقية المذاهب، ومثل ذلك كتابه " المعونة لدرس مذهب عالم المدينة" وكـــتابه " شـــرح المدونة" و " شرح الرسالة " فكانت معظم كتبه الفقهية قائمة على الدليل والتعليل[١].

وخـــدم الفقـــه فـــي كل فن منه، فألّف في المذهب المالكي خاصة، وفي علم الخـــلاف ، وهو ألفقه المقارن مع بقية المذاهب، وفي القواعد الفقهية، وفي الفروق الفقهـــية، وخصَّ كتباً لنصرة المذهب المالكي الذي قرر أدلته، كالنصرة، والإشراف، وأوائـــل الأدلـــة، وغـــيرها ، مما يخدم أيضاً بقية المذاهب، حتى سماه ابن فرحون "ناصـــراً للمذهب"[٢]. وتبوأ القاضي عبد الوهاب المكانة التي يستحقها كفاء ماله من الفضـــل بالجمع والتدليل والاجتهاد والاستنباط ولذلك كثر النقل عنه[٣]. وهذا تعريف موجز لبعض كتبه الفقهية.

١- التلقين: وهو أشهر كتب القاضي عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - على الإطـــلاق، وأكـــثرها ذكراً في مؤلفات فقهاء المالكية، وهو أقرب إلى الاختصار منه إلـــى البســـط والشرح، قال الذهبي: "من أجود المختصرات" [٤]، وقال ابن خلّكان "

---

(١) الاتحاف ، مقدمة التخريج ١/١١، ٨٦.

(٢) الديباج ص ١٥٩.

(٣) الاتحاف ، مقدمة التخريج ١/١٩٩،١٨٨،١١٧.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٧/٤٣٠.

وهـو مـع صغر حجمه من خيار الكتب وأكثرها فائدة "[1]، وهو مختصر في مذهب الإمـام مالك، وقال ابن كثير: " يحفظه الطلبة" [2] ، فهو فقه مذهبي يعرض لأمهات المسـائل بـدون أن يـتعرض لأدلـتها، ويتجنب فيه الإكثار من التفريعات وأقوال المذهـب.[3].وبدأ القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى في شرح هذا المختصر في كتابه"المعين على شرح التلقين" لكنه لم يتمه [4].

٢- الممهد في شرح مختصر أبي محمد : شرح فيه القاضي عبد الوهاب -رحمـه الله- مختصـر ابن أبي زيد القيرواني (٣٨٦هـ) الذي اختصر فيه مدونة سـحنون (عـبد السلام بن سعيد التنوخي ٢٤٠هـ) ، ووصل فيه عبد الوهاب إلى نحو نصفه، وأطال فيه النفس، وكان الراعي الأندلسي شمس الدين محمد بن محمد يـنقل في كتابه "انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب مالك" [5]، صفحات كثيرة من " الممهـد" ويقول انتهى مختصراً من الممهد، وسماه القاضي عياض المهدي ، ولعله تصحيف[6].

٤- شرح المدونـــة : المدونة منسوبة للإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى (١٧٩هـ) رواهـا عنه عبد السلام بن سعيد التنوخي الملقب بسحنون (٢٤٠هـ) وتجمـع آراء الإمـام مالك المروية عنه والمخرجة على أصوله، وعلى آراء بعض

---

(١) وفيات الأعيان ٣٨٧/٢.

(٢) البداية والنهاية ٣٢/١٢.

(٣) حقـق كـتاب التلقيـن الدكـتور محمد ثالث سعيد الغاني في رسالة لنيل درجة الدكتوراه في الفقه سنة ١٤٠٥هـ/١٤٠٦هـ في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.
انظـر: اصـطلاح المذهب ص ٢٧٣، المدرسة العراقية ص ٦، المعونة ،مقدمة التحقيق ٤٠/١، ترتيب المدارك ٦٩٢/٢.

(٤) اصـطلاح المذهـب ص ٢٧٥، الديـباج ص ١٦٠، المعونة، مقدمة التحقيق ٤١/١، وتوجد من كتاب "المعين على التلقين" نسخة مخطوطة في خزانة القرويين برقم ٣٥٥، انظر: المدرسة العراقية ص٦.

(٥) هذا الكتاب حققه الدكتور محمد أبو الأجفان، وطبع في بيروت، لبنان، ط ١ سنة ١٩٨١م .

(٦) يوجـد نسـخة مـن الجزء الخامس من الممهد في مكتبة مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعـة أم القـرى بمكة المكرمة برقم ١٤٨ فقه مالكي، انظر: المدرسة العراقية ص ٧، شجرة النور الزكية ص ١٠٤، الديباج المذهب ص ١٥٩، ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، المعونة، مقدمة التحقيق ٤١/١.

أصحابه، وأصبحت أصل الفقه المالكي، ومقدمة على غيرها،وهي في الدرجة الثانية بعد " الموطأ للإمام مالك" وقد اعتنى العلماء بالمدونة دراسة وتدريساً، واختصاراً وشرحاً وتعليقاً، وأهم تلخيص لها مختصر أبي محمد بن أبي زيد القيرواني (٣٨٦ هـ) السابق ذكره. وشرحها كثير من العلماء ، وبدأ القاضي عبد الوهاب بشرحها ، لكنه لم يتم الشرح[١].

٤- شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني: وهو شرح مسهب، يقع في نحو ألف ورقة، ويوجد منه جزء مخطوط بالخزانة العامة بالرباط برقم ٦٢٥ف.

وكان هذا الكتاب مفتاح شهرة القاضي عبد الوهاب في مصر والقيروان وشمال المغرب والأندلس، لما للرسالة من تقدير عظيم عندهم، فنال القاضي عبد الوهاب الحظوة بسبب هذا الشرح بمصر، ويقال بأنه أول شرح للرسالة وسماها "مسلك الجلالة في مسند الرسالة" أو "المعرفة في شرح الرسالة". وبلغ من إعجاب المالكية بهذا الشرح أن أول نسخة منه بيعت بمائة مثقال ذهباً، وهو ثمن ضخم لكتاب[٢].ولكن يتبين لنا أهمية هذا الشرح وكونه سبباً في شهرة القاضي عبد الوهاب نعطي لمحة موجزة عن أصله " الرسالة".

٥- الرسالة ، لابن أبي زيد القيرواني : وهو عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفري ، أبو محمد القيرواني ، المشهور بابن أبي زيد المولود بالقيروان (٣١٠هـ /٩٢٢م) والمتوفى فيها (٣٨٦هـ /٩٩٦م)، الفقيه المالكي، الحافظ ، الحجة، النظار من أعيان القيروان، يُسمى مالك الصغير، ويلقب بقطب المذهب، وهو جامع مذهب مالك وشرح أقواله، ولخّص المذهب ونشره، ويعد إمام المالكية في عصره، وتنوعت مؤلفاته، ووصلت إلى الأربعين، أشهرها الرسالة، ومختصر المدونة ، والذبّ عن مذهب مالك، والاقتداء بأهل المدينة وغيرها، وطبع كثير منها، وشرح القاضي عبد الوهاب الأول والثاني. ويعتبر ابن أبي زيد أحد

---

(١) انظر : ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، المعونة ، مقدمة التحقيق ٤١/١، مرجع العلوم الإسلامية للباحث ، ص ٥٠٠ ، الديباج ص ١٦٠.

(٢) ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، اصطلاح المذهب ص ٢٧٤، المعونة، مقدمة التحقيق ٤٢/١، المدرسة العراقية ص ٦، الديباج ص ١٥٩.

الشـيخين فـي المذهـب مع أبي بكر الأبهري، فخدم المذهب، وضبط ما تناثر من المصادر لأقوال الإمام مالك[1].

والرسـالة أكـثر كتب ابن أبي زيد انتشاراً، وزادت شروحها عن مائة شرح، وهـي أعظم كتاب في الفقه المالكي بعد الموطأ والمدونة، واحتوت على أربعة آلاف مسـألة مأخوذة من أربعة آلاف حديث،وموضوعها "جملة مختصرة من واجب أمور الديانـة ممـا تـنطق بـه الألسنة ، وما يتصل بالواجب والسنن والنوافل والآداب، وأمهـات المسـائل، فـي مذهب الإمام مالك، وغرضها تعليم الولدان كما يتعلمون حروف القرآن ، لفهم دين الله وشرائعه رجاء البركة، وحمد العاقبة"[2].

٦- المعونة لدرس مذهب عالم المدينة: ويأتي العنوان مختصراً " المعونة على مذهب عالم المدينة"، وصنّف القاضي عبد الوهاب الكتابين السابقين "الممهد" و " شـرح الرسـالة" فبسط فيهما الأدلة، وأشبع الكلام في مسائل الخلاف، وأطال في المسـائل والـتفريعات واختلاف الوجوه والروايات، فطلب منه تلامذته اختصار ذلك فأجـابهم ، وألّـف كـتاب "المعونـة" ليكون مدخلاً للكتابين ، مع التدليل والتوجيه والتعليل الموجز لتصبح المعونة دعامة الفقه المالكي، والمرجع في المذهب لجمعها مسـائل الفقـه وأدلتها، وقد أبدع القاضي عبد الوهاب في منهج الكتاب فذكر الفقه محـرراً مجملاً في أول الباب، ثم أتبعه فصولاً لتوضيح المجمل، مع الإشارة للدليل، وذكر المخالف والاحتجاج عليه، فهو ديوان فقه قيّم فكان أثره عظيماً فيما بعد، فلا يخلـو كتاب في الفقه المالكي من ذكره والنقل عنه، وهو في الفقه المالكي المقارن مع سائر المذاهب الأربعة[3].

---

(١) ترتيـب المـدارك ٤٩٢/٢، الديباج المذهب ص ١٣٦، شجرة النور الزكية ص ٩٦، شذرات الذهب ٣/ ١٣١ الأعلام ٢٣٠/٤، مرجع العلوم الإسلامية ص ٤٠٦، طبقات الفقهاء ص ١٦٠.

(٢) ترتـب المـدارك ٤٩٤/٢، الديباج المذهب ص ١٣٩، اصطلاح المذهب ص ٢٣٩، وما بعدها، ٢٤٣- ٢٤٦، المدرسة العراقية ص ٣.

(٣) حقـق المعونـة الدكـتور عـبد الحق حميش للحصول على شهادة دكتوراه من جامعة أم القرى بمكة المكـرمة، وطبعـت عـدة مرات في ثلاثة أجزاء مع مقدمة التحقيق، منها طبعة دار الفكر - بيروت - ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، وانظـر : ترتيـب المدارك ٦٩٢/٢، وفيات الأعيان ٣٨٧/٢، المعونة، مقدمة التحقيق والدراسة ٥٣/١-٨٩، الديباج المذهب ص ١٥٩.

٧- الإشـــراف علـــى نكـــت مسائل الخلاف : وطبع في تونس بعنوان " الإشراف على مسائل الخلاف" [١]، وهو من الكتب التي يهتم به الفقهاء في المغرب، واختلف منهج القاضي عبد الوهاب فيه عن منهجه في "المعونة" وفي "التلقين" فكان طـابع الإســهاب والتفصيل في "المعونة" فيما جاء "الإشراف" لتحرير المسائل التي يجـري فـيها الخـلاف بيـن المذاهب، مع ذكر رأي المالكية دون تعرض للأقوال المخـتلفة في المذهب،ثم يعقب ذلك بآراء من خالف المالكية، وأساس المخالفة، ثم يعـرض أدلـة المالكـية من النص والقياس والاستنباط، مع الاختصار المركّز دون إخـلال بـالفحوى والمقصود، واطلعت عليه ورأيت أنه يذكر الرأي الفقهي ثم يشير إلى القول المخالف لأحد المذاهب الأربعة، وكأنه يوحي أن الرأي الأول قاله المالكية وسـائر المذاهب الذين لم يشر إليهم في المخالفة، فهو كتاب في الفقه المقارن، كما رأيت أنه ينسب أحياناً إلى القول غير المعتمد في المذهب الشافعي وغيره[٢].

٧- النصـرة لمذهب إمام دار الهجرة: وهو من أعظم ما ألّفه القاضي عبد الوهـاب لبيان ترجيح مذهب الإمام مالك وتفضيله على غيره، ويقع في مائة جزء، ويقـال إن الكـتاب بخط المؤلف وقع بيد بعض قضاة الشافعية فألقاه في النيل، ولا يوجد له أثر الآن[٣].

٨- عـيون المسائل أو عيون المجالس وفقه مختلف المذاهب: وهو في الفقـه، كمـا ذكـر ابن فرحون، ويوجد كتاب آخر للقاضي عبد الوهاب في فهرس

---

(١) الكـتاب مطـبوع بتونس/ في جزأين كبيرين ، مطبعة الإرادة، ثم قام الدكتور عبد الصمد الطاهر صالح فخـرّج الأحاديـث ، وقـدّم دراسـة للكـتاب، وطبع في أربعة مجلدات، ونشرته دار البحوث للدراسات الإسـلامية وإحـياء الـتراث، بدبي- ط١- سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م بعنوان " الإتحاف بتخريج أحاديث الإشراف على مسائل الخلاف".

(٢) ترتيـب المـدارك ٦٩٢/٢، الديـباج المذهب ص ١٦٠، اصطلاح المذهب، ص ٢٧٣-٢٧٤، المدرسة العراقية ص ٧، المعونة، مقدمة التحقيق ٤٤/١، الاتحاف، مقدمة التخريج ١٥/١ وما بعدها.

(٣) ترتيـب المدارك ٦٩٢/٢، شجرة النور ، ص ١٠٤، اصطلاح المذهب ، ص ٢٧٥، المعونة ، مقدمـة التحقيق ٤١/١، الديباج ص ١٥٩.

مخطوطات خزانة القرويين (٢٤٩/٣) بعنوان " عيون المجالس" برقم ١١٤٣، ولعله عيون المسائل[١].

٩- الأدلة في مسائل الخلاف: أو هو أوائل الأدلة في مسائل الخلاف بين فقهاء الملة،وليس له أثر موجود[٢] ولعله هو مسائل الخلاف بين فقهاء الملة، وهو في علم الخلاف.

١٠- شرح فصول الأحكام وبيان ما مضى به العمل عند الفقهاء والحكام: وهذا العنوان يوحي بأنه في أحكام القضاء والحكام، وكان كثير من القضاة يؤلفون في هذا المجال، ويستفيدون من علمهم وخبرتهم العملية، وعبد الوهاب منهم[٣].

١١- اختصار عيون الأدلة: وهو اختصار لكتاب "عيون الأدلة" لشيخه القاضي ابن القصار، ويوجد نسخة من الجزء الخامس الأخير في خزانة القرويين برقم (٢٩١/٨٠) من كتاب الظهار إلى كتاب الوصايا، أو برقم (١١٦٦)، وهو كتاب في مسائل الخلاف[٤].

١٢- تقييد على الأحكام الخمسة: وهو بحث في ثلاث ورقات ضمن مجموع (ص٢٤٦-٢٤٨) في خزانة تطوان برقم ٨٢٦[٥].

١٣- الجوهرة في المذاهب العشرة: ذكره بعضهم في كتب القاضي عبد الوهاب[٦].

---

(١) الديباج ص ١٦٠، ترتيب المدارك ٦٩٢/٢ المعونة، مقدمة التحقيق ٤٢/١، واعتبر الدكتور محمد إبراهيم علي هذا الكتاب منسوباً للقاضي عبد الوهاب،مع أن ابن فرحون عدّه في كتبه (اصطلاح المذهب ص ٢٧٥-٢٧٦، الديباج ص ١٦٠)

(٢) ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، الديباج ص ١٥٩، ١٦٠ وعدّهما ابن فرحون كتابين له.

(٣) يوجد منه نسخة مخطوطة في خزانة القرويين (٣٨٢/١) وتوجد نسخة أخرى بمكتبة الملك عبد العزيز بجدة ، برقم ١١٠ فقه مالكي، انظر:الأعلام ٣١٥/٤، المعونة، مقدمة التحقيق ٤٤/١، المدرسة العراقية ص٦.

(٤) اصطلاح المذهب ص ٢٧٥-٢٧٦، المعونة، مقدمة التحقيق ٤٣/١.

(٥) المعونة ، مقدمة التحقيق ٤٧/١.

(٦) المعونة ، مقدمة التحقيق ٤٥/١ عن هدية العارفين ٦٣٧/١.

١٤- الرد على المزني: المزني هو إسماعيل بن يحيى، أبو إبراهيم (٢٦٤ هـ/ ٨٧٨) الفقيه المجتهد المحدث، صاحب الإمام الشافعي وأخص تلامذته،له كتب كثيرة كالجامع الكبير، والجامع الصغير، وأهمها مختصر المزني (الأم للشافعي)[١]، وصنّف القاضي عبد الوهاب كتاباً في الرد على آرائه، فهو فقه مقارن إلى حد ما[٢].

كتب القواعد الفقهية والفروق:

يتصل بالكتب الفقهية وعلم الخلاف (الفقه المقارن) والمجال الفقهي للقاضي عبد الوهاب ما صنّفه في القواعد الفقهية، والفروق، وهي:

١- الفروق (البروق) في مسائل الفقه:

وهو أول كتاب للمالكية في فن الفروق الفقهية [٣].ثم جاء الكتاب القيّم المشهور "الفروق" للقرافي (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)[٤].

٢- النظائر في الفقه:

وهو منسوب للقاضي عبد الوهاب، وإن ثبتت نسبته له فهو أول كتاب للمالكية في علم القواعد الفقهية، ويوجد منه نسخة في فهرس مخطوطات خزانة القرويين، محمد العابد الفارسي رقم (٢/٣٨٢) (١/٣٧٦)[٥].

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى٢/٩٣، طبقات الفقهاء ص ٩٧، تهذيب الأسماء ٢/٢٨٥، وفيات الأعيان ١/ ١٩٦، الفتح المبين ١/١٥٦، الانتقاء ص١١٠، الأعلام ١/٣٢٧، مرجع العلوم الإسلامية ص ٤١٩.

(٢) ترتيب المدارك ٢/٦٩٢، وصنّف عدد من علماء المالكية كتباً بهذا العنوان " الرد على المزني" منهم بكر بن محمد بن العلاء القشيري المالكي(٣٤٤هـ) والقاضي أبو بكر الأبهري (٣٧٥هـ) وهو شيخ القاضي عبد الوهاب، انظر: اصطلاح المذهب ص ٢٢٧، المعونة، مقدمة التحقيق ١/٤٥، سير أعلام النبلاء ١٥/٥٣٧، حسن المحاضرة ١/٤٥٠، شجرة النور ص ٧٩.

(٣) الديباج المذهب ص ١٦٠، شجرة النور ، ص ١٠٤، اصطلاح المذهب ص ٢٧٥، المعونة ، مقدمة التحقيق ١/٤٥.

(٤) انظر ترجمة القرافي، والتعريف بكتابه في (مرجع العلوم الإسلامية، للباحث ص ٥٠٢،٥٩٠ والمراجع المشار إليها).

(٥) اصطلاح المذهب ص ٢٧٥-٢٧٦، المعونة ، مقدمة التحقيق١/٤٣، المدرسة العراقية ص ٨، وانظر ما جاء في التعريف بالأشباه والنظائر للسيوطي، والأشباه والنظائر لابن نجيم في (مرجع العلوم

القاضي عبد الوهاب أصولياً :

إن أصـــول الفقـــه هـــو المنارة الوضاءة بين العلوم الشرعية، وهو عبارة عن القواعـــد والمـــبادئ التي سار عليها الفقهاء في استنباط أحكام الفقه، ويشتمل على الضوابط التي يلتزم بها الفقيه المجتهد، ليكون منهجه في الاجتهاد مستقيماً واضحاً يوصل إلى الهدف المقصود من الاستنباط والاجتهاد، وذكر ابن خلدون أهميته فقال: " اعلـــم أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية، وأجلّها قدراً، وأكثرها فائدة " ثم عـــرّفه فقـــال: " وهـــو فـــي الأدلة الشرعية (مصادر الشريعة) حيث تؤخذ منها الأحكام"[1].

فعلم أصول الفقه يرسم طريق الاجتهاد، وهو عون المجتهد في استنباط الأحكام الشرعية، ولذلك يتعلق بشكل رئيسي بالمجتهد، وقد وصف كثير من العلماء القاضي عـــبد الوهـــاب بالمجـــتهد كمـــا سبق، فمن ذلك ما قاله السيوطي عنه " وأحد أئمة المالكـــية المجتهديـــن في المذهب له أقوال وترجيحات"[2]، فكانت صلته بعلم أصول الفقه قوية ومتينة ومباشرة.

درس القاضي عبد الوهاب الأصول على إمام هذا الفن في عصره، وهو القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني (٤٠٣هـــ) وعلى غيره من الشيوخ، وقال القاضي عبد الوهاب: "والذي فتح أفواهنا وجعلنا نتكلم أبو بكر بن الطيب" [3].

وبـــرز القاضـــي عـــبد الوهاب في أصول الفقه، واشتغل به عملياً في الاجتهاد، فكانـــت له الأقـــوال والآراء في المذهب المالكي وله الترجيحات بين الأقوال، وجاء ذلـــك مبـــثوثاً في كتبه الفقهية، ومارس القاضي عبد الوهاب العمل في أصول الفقه

الإســـلامية ص ٤٩٣، ٥٢٦، القواعـــد الفقهـــية على المذهبين الحنفي والشافعي، للباحث ص ١٣ وما بعدها).

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٥٢، وانظر: مرجع العلوم الإسلامية ص ٥٦٣، ٥٦٥، ٥٦٧.

(٢) حسن المحاضرة ٣١٤/١.

(٣) الديباج ص ١٥٩.

نظـرياً فصنّف فيه الكتب،وأثرى المكتبة الأصولية بمؤلفات كثيرة، كانت مرجعاً لمن جاء بعده في الاستفادة العملية، والنقل نظرياً في كتبهم[١]، فمن ذلك :

١- الإفـادة : في أصول الفقه، وكثيراً ما ينقل عنه القرافي في كتابه في الأصول "شرح تنقيح الفصول" المنشور والمطبوع[٢].

٢- التلخيص : في أصول الفقه ، ويطلق عليه أحياناً "الملخص" [٣].

٣- المفاخـر : فـي أصـول الفقـه ، واعـتمد عليه الزركشي الأصولي الفقيه الشـافعي (٧٩٤هـ /١٣٩٢م) فـي كـتابه القيّم الباهر" البحر المحيط" المطبوع اليوم في الكويت.
ولعلّ كتاب المفاخر هو نفسه كتاب " الأجوبة الفاخرة في أصول الفقه" [٤].

٤- المقدمات: في أصول الفقه ، ولم يرد ذكر هذا الكتاب في ترجمة القاضي عبد الوهـاب ، وإنمـا ذكره السيوطي واعتمد عليه في كتابه الممتع في الاجتهاد" الرد على من أخلد إلى الأرض، وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض"[٥].

٥- المروزي في الأصول: ولعلّه كتاب في أصول الفقه، ولم يعثر له على أثر[٦].

اشتغال القاضي عبد الوهاب بالحديث:

لـم يكـن القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى محدّثاً، مع أنه اشتغل بالحديث سماعاً وتحديثاً، فسمع الحديث من عدد كبير من المحدّثين، لكن غلبت عليه النزعة الفقهية، فسمع من أبي بكر الأبهري، وحدّث عنه وأجازه، وسمع أيضاً من أبيه عن أبـي ثابـت الصـيدلاني، وابن عمر بن السمّاك، وأبي خالد النصيبي والقاضي أبي

---

(١) ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، الاتحاف، مقدمة التخريج ١١٧/١.

(٢) ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، الديباج ص ١٦٠، المدرسة العراقية ص ٧، المعونة، مقدمة التحقيق ٤٥/١، وانظر: التعريف بكتاب القرافي وترجمته في (مرجع العلوم الإسلامية ص ٥٩٠، ٦٢٤)

(٣) المعونة، مقدمة التحقيق ٤٥/١، ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، الديباج ص ١٦٠.

(٤) ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، المعونة، مقدمة التحقيق ٤٥/١، المدرسة العراقية ص ٨.

(٥) المعونة، مقدمة التحقيق ٤٥/١، ترتيب المدارك ٦٩٢/٢.

(٦) ترتيب المدارك ٦٩٢/٢، الاتحاف، مقدمة التخريج ١٢٥/١ وما بعدها.

محمد بن زرقونة، وأبي عمر الهاشمي ، وأبي سعيد الكرخي، والمخلص، وأبي الحسن بن أبي الصلت، والمجد، وابن نافع، ومحمد بن أحمد الصيّاد، وأبي علي بن شاذان، وسمع أبا عبد الله العسكري، وأبا حفص بن شاهين، وغيرهم.

وسمع منه الحديث جماعة، منهم عبد الحق بن هارون الفقيه، وأبو عبد الله المازري البغدادي، وأبو بكر الخطيب البغدادي الذي قال عنه " وحدَّث بشيء يسير، كتبت عنه، وكان ثقة"[1].وحدّث في بغداد، وفي دمشق كما ذكره ابن عساكر[2]، وحدّث عنه من أهل الأندلس جماعة، منهم ابن شمّاخ الغافقي، ومهدي بن يوسف صاحبه، حتى اعتبر القاضي عبد الوهاب من محدثي الفقهاء،وهو ما ظهر في كتبه الفقهية واعتماده على الأحاديث عند سوقها ، أكثر من اهتمامه بضبط ألفاظها، شأن كثير من الفقهاء[3].

القاضي عبد الوهاب أديباً وشاعراً:

كان القاضي عبد الوهاب رحمه الله رقيق المشاعر، واهتم بالأدب، وقرض الشعر، وصفه تلميذه الشيرازي رحمه الله تعالى فقال: " وكان فقيهاً أديباً شاعراً"[4]. وقال ابن خلّكان رحمه الله: " كان فقيهاً أديباً شاعراً" [5]، وقال ابن كثير رحمه الله : " له أشعار رائعة" [6]، وقال ابن فرحون رحمه الله : " وله شعر حسن " [7]، ،وأثنى عليه أبو العلاء المعري رحمه الله عندما زاره في معرة النعمان ونزل

---

(١) تاريخ بغداد ٣١/١١، ونقله عنه أبن عساكر (مختصر تاريخ دمشق ٢٨٤/١٥) وأكد ذلك ابن فرحون (الديباج ص ١٥٩).

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٨٣/١٥.

(٣) ترتيب المدارك ٦٩٢/٢-٦٩٣، تبيين كذب المفتري ص ٢٥٠، الاتحاف، مقدمة التخريج ١١٥/١-١١٦، مختصر تاريخ دمشق ٢٨٣/١٥.

(٤) طبقات الفقهاء ص ١٦٨.

(٥) وفيات الأعيان ٣٨٧/٢.

(٦) البداية والنهاية ٣٣/١٢، وانظر العبارة في وفيات الأعيان ٣٨٨/٢، شذرات الذهب ٢٢٣/٣.

(٧) الديباج المذهب ص ١٦٠، وذكر بعض أشعاره، وذكر القاضي عياض نتفاً منها (ترتيب المدارك ٢/ ٦٩٣-٦٩٤).

علـيه ضـيفاً، فأعجب بفقهه وأدبه وشعره، وقال ابن بسّام عنه: "وجدت له شعراً معانيه أجلى من الصبح، وألفاظه أحلى من الظفر بالنجح"[1].

وظهر أثر أدبه في دروسه، وفي كتبه وعباراته ، لذلك قال عنه تلميذه الخطيب البغدادي رحمه الله : "وكان حسن النظر ، جيد العبارة" [2].

ونقلـت كتـب التراجم بعض أشعاره ، ويبدو أنه لم يجمع شعره في كتاب، لأنه كان على منهج شعر الفقهاء، وليس شعر الشعراء والأدباء، وجاء شعره مبثوثاً في ثنايا كتبه[3].

القاضي عبد الوهاب وسائر العلوم:

وأخـيراً : فقـد ذكـرت بعـض كتـب التراجم مساهمة القاضي عبد الوهاب المتواضـعة فـي التفسير، وأنه صنّف " الواضحة في تفسير الفاتحة" كما ذكرت له المسـاهمة في المناظرة والجدل، وأنه صنّف فيه " غرر المحاضرة ورؤوس مسائل المـناظرة"[4]، ولـه مسـاهمة بسيطة في العقيدة ، وله " مؤلف في العقيدة " ولعله مقدمة لأحد كتبه[5].

---

(١) شذرات الذهب ٣/٢٢٣.

(٢) تاريخ بغداد ١١/٣١.

(٣) الاتحاف، مقدمة التخريج ١/١٢٠.

(٤) توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب الوطنية بمدريد بأسبانيا رقم ٦٠، انظر" الأعلام ٤/٣٣٥، وذكرها بروكلمان في الملحق ١/٦٦٠.

(٥) المعونة ، مقدمة التحقيق ١/٤٧.

الخاتمة
خلاصة البحث والتوصيات

بعـد هذه الجولة اللطيفة في سيرة القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وبعد الأنس بأخباره الطريفة، وآثاره العلمية، نلخص مايلي:

١- إن ذكـر السـلف الصـالح ، والعلماء الأفاضل من القيم الإسلامية الأصيلة، للتعرّف عليهم، والاستفادة من علمهم، والاستنارة بمنهجهم، والدعاء لهم.

٢- البيـئة لهـا تأثير كبير على الإنسان، فهو ابن عصره ولو في بعض أطرافه، وكـان عصـر القاضـي عبد الوهاب في القرنين الرابع والخامس الهجريين مـتفاوتاً تفاوتـاً كبيراً في جوانبه، فالناحية السياسية شبه متردية، والناحية الاجتماعـية متوسـطة ومـتفاوتة حسـب طبقات المجتمع، والناحية العلمية والثقافية والحضارية متألقة في عصرها الذهبي.

٣- ولـد القاضـي عبد الوهاب بن علي بن نصر المالكي في بغداد سنة ٣٦٢هـ فـي أسـرة علمية مرموقة، ونشأ في طلب العلم وتحصيله في بغداد، ورحل قلـيلاً إلى بعض المدن، وأدى فريضة الحج، ولقي علماء الحرمين، وأخذ عن شـيوخ كـثر، وخاصة في بغداد موئل العلم والعلماء، ومركز الثقافة والفكر والحضـارة والعلـم، وخاصـة عـن الأبهـري، وابن القصار، وابن الجلاب والقاضي الباقلاني.

٤- اشـتغل القاضي عبد الوهاب بالتعليم والتدريس، والتأليف والتصنيف، والحكم والقضاء.

٥- خرج القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى من بغداد لضيق الحال إلى الشام، واستقر بمصر، وتولى القضاء فيها فترة وجيزة حتى مات.

٦- ترك القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى تلاميذ كثراً، منهم النجباء كالخطيب البغدادي، والشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وأبي الفضل الدمشقي،وابن عمروس المالكي، وحدَّث عنه كثير.

٧- اتصف القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى بالكرم والسخاء، والصبر والعفة، والشجاعة، وكان عابداً زاهداً متأدباً ثقة ، كثير الحفظ، حسن النظر، جيد العبارة.

٨- توفي القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى بمصر سنة ٤٢٢هـ ، وعمره ستون سنة، ودفن بالقرافة الصغرى قرب مقام الإمام الشافعي، وابن القاسم المالكي، وأشهب رحمهم الله تعالى.

٩- تألقت سيرة القاضي عبد الوهاب العلمية، وبلغت الذروة ، فكان إماماً علامة ، وصار شيخ المالكية في عصره ، وأحد أركان المدرسة العراقية في المذهب المالكي التي امتازت بميزات فريدة، وأثّرت على سائر مدارس المذهب المالكي.

١٠- جمع القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى بين أهم علوم الشريعة، وصنّف فيها، وترك آثاراً خالدة تشهد على غزارة علمه وفضله ، لكن بقيت معظم كتبه مخطوطة لم ترَ النور، وطبع القليل منها.

١١- تفوّق القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى في فنون علم الفقه، فكان إماماً في فقه المذهب المالكي، وصنّف فيه عدة كتب كالتلقين وشرحه، وشرح المدونة، وشرح رسالة ابن أبي زيد، وبرز واشتهر في علم الخلاف (الفقه المقارن بين المذاهب الفقهية) وكانت معظم كتبه فيه كالممهد، والإشراف، وعيون المسائل، والأدلة في مسائل الخلاف، والجوهرة، ودافع بحماس عن المذهب المالكي، وصنّف فيه عدة كتب كالنصرة لمذهب إمام دار الهجرة، والرد على المزني، ثم شارك في علم القواعد والفروق، وصنّف كتابين هما : الفروق، والنظائر في الفقه إن صحت نسبتهما إليه.

١٢- كـــان القاضـــي عبد الوهاب رحمه الله تعالى مجتهداً في المذهب، فدرس علم أصول الفقه، وأتقنه ، ومارسه عملياً في التطبيق والاجتهاد، وصنّف فيه عدة كتب، كالإفادة والتلخيص والمفاخر، والمقدمات ، والمروزي في الأصول.

١٣- اشـــتغل القاضـــي عـــبد الوهـــاب بالحديث الشريف، وسمعه عن جلة العلماء المحدثيـــن، ثم حدّث، وروى عنه عدد كبير، لكن غلبت عليه النزعة الفقهية، فلم يصنّف في الحديث، ومع ذلك استفاد من هذا العلم ومارسه عملياً في كتبه الفقهـــية بذكر أحاديث الأحكام ودراستها دراسة واستنباطاً ، فهو من محدثي الفقهاء.

١٤- كان القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى أديباً ، وشاعراً، ورقيق الحس، وله شـــعر حسن على منهج شعر الفقهاء،وكان جيد العبارة، وفي أسلوبه طلاوة، ووضوح، ومتعة، وجمال، وترك بعض الأشعار المبثوثة في الكتب.

١٥- شـــارك القاضـــي عـــبد الوهـــاب رحمه الله تعالى في التفسير، وصنّف فيه " الواضحة في تفسير الفاتحة" واشتغل في علم الجدل والمناظرة، وصنّف فيه " غـــرر المحاضرة ورؤوس مسائل المناظرة " وساهم مساهمة بسيطة في علم العقيدة، وله " مؤلف في العقيدة".

رحـــم الله القاضـــي عبد الوهاب، وجزاه الله خيراً، ونفع بعلمه، وأنزل عليه شآبيب رحمته، وعوّض المسلمين عنه خيراً.

وبعـــد :

<u>فإني أقدم في نهاية هذا البحث التوصيات التالية:</u>

١- الاستمرار على هذه السنّة الحميدة في إحياء ذكرى العلماء الأعلام والاحتفاء بهم، وذلك لكشف اللثام عنهم والتذكير بمآثرهم الخالدة. وتسليط الضوء على إنتاجهم وفكرهم وتراثهم.

٢- العمـــل علـــى نشر كتب القاضي عبد الوهاب رحمه الله تعالى، والتي لا يزال معظمهـــا مخطوطـــاً ينـــتظر اليد الحانية والقلب الواعي ، والعقل المستنير،

لـــيخرجها مـــن الخـــزانات والأقبية المظلمة، ومن الرفوف التي يتراكم عليها الغبار، وتهددها الأكلة وعوادي الزمان.

٣- نوصي بالعمل على تحقيق كتب القاضي عبد الوهاب، ووضع خطة مدروسة، ومـــنهج ســـديد لذلـــك، مـــع حث الجهات الرسمية، والمؤسسات على تبنّي تحقيق هذه الكتب ونشرها .

٤- إحـــياء مـــنهج علـــم الخلاف، المعروف اليوم بالفقه المقارن، للاستفادة من مخـــتلف المذاهـــب الفقهـــية فـــي النهضـــة الإســـلامية المرتقبة، والصحوة المتواضـــعة فـــي مجـــال التشـــريع الإسلامي، وإثراء المستجدات المعاصرة بالأحكام الشرعية السديدة.

وآخـــر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ورحم الله العلماء العاملين، ومن لزم نهجهم إلى يوم الدين.

أهم مصادر البحث ومراجعه

١- الاتحاف بتخريج أحاديث الإشراف على مسائل الخلاف للقاضي عبد الوهاب بن علي البغدادي المالكي (٤٢٢هـ) تخريج ودراسة الدكتور بدوي عبد الصمد الطاهر صالح، نشر دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي- ط١-١٤٢٠هـ /١٩٩٩م.

٢- اصطلاح المذهب عند المالكية ، الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم علي، نشر دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي - ط١- ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م.

٣- الأعلام، خير الدين الزركلي (١٣٩٦هـ /١٩٧٠م) الطبعة الثالثة ، بيروت ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ، دون دار نشر.

٤- البداية والنهاية، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ابن كثير القرشي الدمشقي(٧٧٤هـ) تصوير مكتبة المعارف- بيروت- مكتبة النصر- الرياض- ط١- ١٩٦٦م.

٥- تاريخ بغداد ، الحافظ أحمد بن علي ، أبو بكر الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، تصوير دار الفكر - بيروت- عن طبعة ١٣٤٩هـ/١٩٣١م.

٦- تاريخ قضاة الأندلس ، أو المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، أبو الحسن علي بن عبد الله المالقي النُباهي(٧٩٣هـ) نشر المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت - د.ت.

٧- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، ابن عساكر الدمشقي (٥٧١هـ) تصوير دار الكتاب العربي ، بيروت- ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م عن طبعة القدسي.

٨- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (٥٤٤هـ) تصوير دار مكتبة الحياة - بيروت ، مكتبة دار الفكر - طرابلس - ليبيا- ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

٩- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ) طبع عيسى البابي الحلبي، القاهرة - ط١-١٩٦٧م /١٣٨٧هـ .

١٠- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المدني المالكي (٧٩٩هـ) طبع عباس بن عبد السلام بن شقرون ، الفحامين - مصر - ط١- ١٣٥١هـ .

١١- سير أعلام النبلاء، مؤرخ الإسلام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١- ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

١٢- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف (١٣٥٥هـ) نشر دار الكتاب العربي - بيروت - تصوير بالأوفست عن الطبعة الأولى - ١٣٤٩هـ .

١٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ). تصوير دار الفكر - بيروت - عن طبعة القدسي - القاهرة - ١٣٥٠هـ.
١٤- طبقات الفقهاء، إبراهيم بن علي، أبو إسحاق الشيرازي (٤٧٦هـ) نشر دار الرائد العربي - بيروت - ١٩٧٠م.
١٥- الفتح المبين في طبقات الأصوليين ، الشيخ عبد الله مصطفى المراعي، الطبعة الثانية ، تصوير - بيروت - ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
١٦- فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي (٧٦٤هـ) نشر مكتبة النهضة المصرية - مطبعة السعادة - القاهرة - ١٩٥١م .
١٧- القواعد الفقهية في المذهبين الحنفي والشافعي، الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي - نشر مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت - ط١- ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .
١٨- المدرسة العراقية في المذهب المالكي، الدكتور عبد المجيد صلاحين ، بحث في مجلة دراسات -الجامعة الأردنية.
١٩- مرجع العلوم الإسلامية، الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي - دار المعرفة - دمشق ١٤١١هـ /١٩٩٩م .
٢٠- المعونة على مذهب عالم المدينة ، القاضي عبد الوهاب بن علي المالكي البغدادي (٤٢٢ هـ) تحقيق ودراسة الدكتور عبد الحق حميش ، نشر دار الفكر - بيروت - ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .
٢١- وفيات الأعيان ، أحمد بن محمد ، المعروف بابن خلّكان (٨٦١هـ) طبع مكتبة النهضة المصرية - مط السعادة - مصر - د.ت.